

إعداد

محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم

دار العقيدة

الإسكندرية : ١٠١ ش الفتح - باكوس ت : ٥٧٤٧٣٢١
القاهرة : ٥ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

□ كافة حقوق الطبع محفوظة □

الطبعة الرابعة

١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

رقم الايداع ٢٣٢٧ / ٩٥

تـوزيـع

دار العقيـدة للتـــراث

الإسنكدرية : ١٠١ شارع الفتح - باكوس ت : ٥٧٤٧٣٢١
القاهـــرة : ٥ درب الأتـــراك - خـــلف الجـامع الأزهـر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على محمد رسوله وعبده ، وعلى آله وصحبه من بعده ،

أما بعد :

فإن الصلاة هي آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وأفضل الأعمال بعدهما ، لكونها وضعت على أكمل وجوه العبادة وأحسنها ، ولجمعها متفرق العبودية ، وتضمنها أقسامها ، وهي أول ما اشترطه رسول الله ﷺ بعد التوحيد ، وهي رأس العبادة البدنية ، وهي دين الأمة ضرورة ، لم تخل منها شريعةُ مُرسَلٍ ، وهي فرضُ عينٍ بالكتاب والسنة والإجماع ، فرضها الله ليلة المعراج على نبيه ﷺ في السماء - بخلاف سائر الشرائع - فدل على حرمتها ، وتأكد وجوبها على كل مسلم

مكلف ، لا تسقط عنه بحالٍ من الأحوال[1] بخلاف غيرها من الأركان .

ومع هذا فقد شاع في زمان الغربة الثانية تهاون الناس بها ، وتفريطهم في حقها ، مع انهماكهم في صنوف اللهو واللعب ، وتهالكهم على جيفة الدنيا وحطامهما ، فمِن ثَمَّ مسَّت الحاجة إلى تذكيرهم بعظم قدرها ، وجسامة خطرها ، وهذا الكتاب محاولة لجمع فضائل جنس الصلاة فرضًا كانت أو نفلًا ، ضمَّنته جملة من الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، تجاوزت عن الإفاضة في تخريجها ، مكتفيًا بعزو ما كان في الصحيحين أو أحدهما إليهما ، واقتصرت - فيما عدا ذلك - على ذكر درجته ، في ضوء تحقيقات علماء الحديث ، في القديم والحديث[2]، والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن ينفع به كل من انتهى إليه ، ويجعله حجة له لا حجة عليه .

---

(١) عدا الحائض والنفساء .

(٢) وصدَّرت الضعيف - وهو نادر - بصيغة التمريض « رُوي » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم

الإسكندرية في الخميس ٢٩ من جمادى الأولى ١٤١٥ هـ

الموافق ١٩٩٤/١١/٣

* * *

الفصل الأول

(١) الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين

قال تعالى في المشركين : ﴿ **فإن تابوا**[١] **وأقاموا الصلاة وءاتوُا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾ ، وقال ﷺ : « **بُني الإسلام على خمسٍ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان** » . [متفق عليه]

وقال ﷺ لمعاذ – رضي الله عنه – لما بعثه إلى اليمن: « **إنك تَقْدَمُ على قومٍ أهلِ كتاب ، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله عز وجل، فإذا عرفوا الله**[٢]، **فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم** » الحديث. [متفق عليه]

---

(١) أي : تابوا عن الشرك ، والتزموا أحكام الإسلام .

(٢) وفي لفظ : (فليكن أولَ ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا الله) الحديث ، وسر هذه « الأوَّلية » ما ذكره الشيخ أبو الحسن الندوي – حفظه الله – ، وهو أن : (الصلاة صلة بين العبد =

وقال ﷺ : « **أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله** » .

[متفق عليه]

وعن أبي سعيد– رضي الله عنه– أن رجلًا قال لما قسم رسول الله ﷺ الغنائم : يا رسول الله ، اتق الله !

فقال : « **ويلك ! ألستُ أحقَّ أهلِ الأرض أن أتقيَ الله ؟!** » .

= والرب ، وهي صلة فريدة لا نظير لها ، ولا مثال ، لا يدركها إلا من عرف صفة العبد والرب ، والصلات تابعة للصفات ونابعة منها ؛ لذا لهجت الكتب السماوية بالصفات قبل أن تحدد الصلات ، وتدعو إلى العبادات ، وتسنَّ الفرائض وتحث على الطاعات ، ومن ثم سبقت العقيدة العمل والعبادة ، ودعا الرسل إلى توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله وتنزيهه وتقديسه ومعرفته المعرفة الصحيحة قبل أن يدعوا إلى أي شيء آخر ، والقرآن الكريم نفسه أكبر شاهد على ذلك) اهـ . بتصرف من « الأركان الأربعة » ص (١٣ – ١٤).

فقال خالد بن الوليد – رضي الله عنه –: « ألا أضرب عنقه يا رسول الله ؟ » ،

فقال : « **لا ، لعلَّه أن يكون يُصَلِّي**[1] » .

[متفق عليه]

(٢) الصلاة أهم أمور الدين

إن الصلاة هي أجل مباني الدين بعد التوحيد ، ومحلها في الدين محل الرأس من الجسد ، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له، فكذلك لا دين لمن لا صلاة له، كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يكتب إلى الآفاق : « إن أهمَّ أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها فقد حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع ، ولا حظ في

(١) فالصلاة عاصمة لدم ومال من يقيمها ، وهي مانعة من الخروج على أمراء الجور والظلم ما داموا يقيمونها في أنفسهم وفي الناس ، قال ﷺ : « **يُستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع** » ، قالوا : أفلا نقاتلهم ؟ ، قال : « **لا ، ما صلَّوا** » ، [رواه مسلم]، وفي حديث آخر: (.. قلنا: يا رسول الله أفلا ننابذهم؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**») الحديث [رواه مسلم].

الإسلام لمن ترك الصلاة » .

فالصلاة عون على باقي أركان الدين ؛ لأنها تذكر العبد جلالة الربوبية ، وذلة العبودية ، وأمر الثواب والعقاب ، فعند ذلك يسهل عليه الانقياد للطاعة ، ولذلك قال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ .

وقال ﷺ : « **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله** » [صحيح]، فالصلاة قوام الدين الذي يقوم به كما يقوم الخباء على عموده ، وهل يرفع الخباءَ ألفُ وتد إن لم يكن له عماد في الوسط ؟ .

وعن المسور بن مخرمة – رضي الله عنه – قال : (دخلت على عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وهو مُسَجًّى ، فقلت : كيف ترونه ؟ قالوا : كما ترى ، قلت : أيقظوه بالصلاة ، فإنكم لن توقظوه بشيءٍ أفزعَ له من الصلاة ، فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ! فقال : « ها الله إذًا ، ولا حق في الإسلام لمن ترك الصلاة » ، فصلَّى ، وإنَّ جرحه ليثعَب[1] دمًا) . [صحيح]

(١) ثَعَبَ الماءَ والدمَ وغيرهما ثَعْبًا : فَجَّرَه ، فسال .

(٣) الصلاة توأم الفرائض والأركان

فإن الصلاة أكثر العبادات ذكرًا في القرآن الكريم :

فتارة تُخَصُّ بالذكر كما في قوله تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل** ﴾ ، وتارة تُقْرَنُ بالصبر كقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ ،

وتارة تقرن بالزكاة كقوله سبحانه : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ ،

وتارة تقرن بالجهاد كقوله جل وعلا : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا في الله حق جهاده** ﴾ .

وعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاث أحلف عليهن : لا يجعل الله تعالى من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، وأسهم الإسلام ثلاثة : الصلاة، والصوم، والزكاة** » الحديث . [صحيح]

وما ذكر الله سبحانه الصلاة مقرونة بغيرها من الفرائض إلا قَدَّم الصلاة عليها ، وقد ذكرت الصلاة في مفتتح أعمال

البر وخواتيمها ، كما ترى في صدر سورة « المؤمنون » ، و « المعارج » .

(٤) الصلاة أمّ العبادات

لقد كُلِّف العبد أن تستحوذ الصلاة على كل كيانه ، ظاهرًا وباطنًا ، وتستغرق قلبه ولسانه وجوارحه ، قال تعالى : ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ ، وقال ﷺ : « **إن في الصلاة لَشُغلًا** » . [متفق عليه]

فحرم على المصلي الأكل ، والشرب ، والالتفات ، والحركة ، بخلاف ما عدا الصلاة من العبادات التي تفرض على بعض الجوارح دون بعض ، فللصائم أن يتكلم ويتحرك ، وللمجاهد أن يلتفت ويتكلم ، وللحاج أن يأكل ويشرب ، أما الصلاة ففيها ألوان العبودية الشاملة للقلب والعقل والبدن واللسان .

فللسان : الشهادتان ، والتكبير ، والتعوذ ، والبسملة ، وتلاوة القرآن ، والتسبيح ، والتحميد ، والاستغفار ، والأدعية، وللجوارح : قيام، وركوع، وسجود، واعتدال ، وخفض ، ورفع ، وقعود . وللعقل : تفكر ، وتدبر ،

وتفهم ، وتفقه ، وللقلب : خشوع ، ورقة ، وخوف وطمع ، والتذاذ ، وضراعة ، وبكاء .

قال ابن القيم - رحمه الله -: (ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء ، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه ، كانت أفضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده ، لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء)[1] اهـ .

(٥) الصلاة أَمْرُ الله تعالى

وأمره عز وجل يجب طاعته ، والمبادرة إلى امتثاله ، قال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ .

وقال جل وعز : ﴿ **قل لعبادي الذي آمنوا يقيموا الصلاة** ﴾ الآية ، وقال سبحانه : ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** ﴾ الآية .

---

(١) « الوابل الصيب » ص (١٦٦) .

عن الحارث الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أن يحيى عليه السلام قال لبني إسرائيل وقد جمعهم : « **إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعملَهن ، وآمركم أن تعملوا بهن** » الحديث ، وفيه :

« **وإن الله أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت** » الحديث .

[صحيح]

وقد قال عز وجل : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالًا مبينًا** ﴾ .

فالصلاة أمر الله تعالى ، وأمر رسوله ﷺ ، قال ﷺ : « **وجُعل الذلُّ والصَّغار على من خالف أمري** » .

[صحيح]

(٦) الصلاة هي الوصية الأخيرة لرسول الله ﷺ

فقد اقتصر ﷺ في رمقه الأخير ساعةَ وداعه الدنيا على الوصاية بها ، وبالرقيق ؛ لما اشتدت به سكرات الموت ،

فعن عليٍّ – رضي الله عنه – قال : (كان آخرُ كلام النبي ﷺ : « **الصلاةَ الصلاةَ ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم** ») . [صحيح]

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : (كانت آخر وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بها لسانه : « **الصلاة الصلاة ، اتقوا اللَّهَ فيما ملكت أيمانكم** ») .

[صحيح]

(٧) الصلاة مرآةُ عمل المسلم وميزانُ تعظيم الدين في قلب المؤمن

الصلاة ميزان الأعمال بها يتابع الإنسان زيادة إيمانه ونقصانه كما يتابع الطبيب بمقياس الحرارة حرارة المريـض .

عن أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله** » .

[صحيح]

(والناس يتفاضلون في الصلاة قبل أن يتفاضلوا في

غيرها – من فضل علم أو ذكاء – وهي المقياس الصحيح ، ، وبها يُحكم على دين الرجل ، ومكانته في الإسلام ، وليس امتياز هؤلاء الرجال الذين خَلَّد التاريخ ذكرهم ، وكان لهم فضل في الأقران والمعاصرين ، ولسان صدق في الآخرين ، إلا لامتيازهم في هذه الصلاة ، وتفوقهم فيها على معاصريهم وأضرابهم ، وبلوغهم فيها درجة « الإحسان » ، ووصولهم فيها إلى أسمى مكان)[1] اهـ .

وعلى الجانب الآخر فإن كل مستخف بالصلاة مستهين بها فهو مستخف بالإسلام مستهين به ، لأن حظ المرء من الإسلام على قدر حظه من الصلاة .

فإذا أردت أن تعرف قدر رغبتك في الإسلام ففتش عن رغبتك في الصلاة ، فإن قدر الإسلام في قلبك كقدر الصلاة في قلبك ، وإذا أردت أن تقيس إيمان عبد فانظر إلى مدى تعظيمه للصلاة ،

قال ﷺ : « **من أراد أن يعلم ما له عند الله ، فلينظر ما لله عنده** » . [حسن]

---

(١) « الأركان الأربعة » ص (٨٧) .

وعن الحسن قال : (يا ابن آدم أي شيء يعز عليك من دينك إذا هانت عليك صلاتك ؟!) .

(٨) *الصلاة دعامةُ جميع الشرائع السماوية*

الصلاة أقدم عبادة ، ولأنها من مستلزمات الإيمان لم تخل منها شريعة من الشرائع ، ولم تنسخ فيما نُسِخ منها ، إذ لا خير في دين لا صلاة فيه ، ولهذا حثَّ عليها جميع رسل الله وأنبيائه عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام :

فقد حكى الله عز وجل عن إبراهيم– عليه السلام– دعاءه: ﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي** ﴾ .

ونوه جل وعلا بشأن إسماعيل – عليه السلام – ، فقال سبحانه : ﴿ **وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًّا** ﴾ .

وقال سبحانه مخاطبًا موسى – عليه السلام – : ﴿ **إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري** ﴾ ،

ونادت الملائكة مريم أم عيسى– عليه السلام–: ﴿ **يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين** ﴾ ،

وقال عيسى – عليه السلام – محدثًا بنعمة ربه سبحانه: **﴿ وجعلني مباركًا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيًّا ﴾** .

وقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل، فجعل إقامة الصلاة من أهم مواده: **﴿ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانًا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حُسْنًا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾** .

وقال جل وعلا مخاطبًا خاتم النبيين ﷺ : **﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾** .

وقال رسول الله ﷺ : « **إنا معشرَ الأنبياء أُمِرْنا .. أن نضعَ أيمانَنا على شمائلنا في الصلاة** » . [صحيح]

(٩) الصلاة .. شعار دار الإسلام

كما يرتفع حكم الكفر عن الشخص بالصلاة ، لقوله ﷺ : « **من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا**[١]، **وأكل**

(١) ويفهم من الحديث أنه إذا صلَّى إلى الشرق لم يكن مسلمًا حتى يصلي إلى قبلة المسلمين ، فكيف إذا ترك الصلاة بالكلية ؟!

ذبيحتنا ، فذاكم المسلم الذي له ذِمةُ الله ، وذمة رسوله ، فلا تخفِروا الله في ذمته » . [رواه البخاري]

كذلك يرتفع حكم الكفر عن الدولة بظهور شعائر الإسلام وأحكامه وفي مقدمتها الصلاة ، وتثبت لها الهوية الإسلامية ، فإذا لم يُسمع الأذان في بلد ، ولم توجد المساجد فهذا دليل على أن الدار دار كفر ، وإذا سمع الأذان ، ووُجدت المساجد حتى غدت مظهرًا من مظاهر الدار فهي دار إسلام[1].

وعن أنس بن مالك– رضي الله عنه– (أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا، لم يكن يغزو بنا حتى يُصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم).[رواه البخاري]

وعن عصام المزني – رضي الله عنه – قال : (كان النبي ﷺ إذا بعث السرية يقول : « **إذا رأيتم مسجدًا ، أو سمعتم مناديًا ، فلا تقتلوا أحدًا** ») .

(١٠) الصلاةُ إيمان

فقد سمى الله تعالى الصلاة إيمانًا في قوله جل وعلا :

---

(١) انظر : « الغلو في الدين » ص (٣٣٠ – ٣٣٥) .

﴿ **وما كان الله ليُضيع إيمانكم** ﴾ يعني : صلاتكم عند البيت ، وكذا فعل رسول الله ﷺ في قوله : « **آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع :**

آمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟

شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وأن تؤدوا خُمُسَ ما غَنِمتم » الحديث ، [متفق عليه] ، **فجعل** الصلاة من الإيمان بالله وحده .

قال البيهقي – رحمه الله –: (وليس من العبادات – بعد الإيمان الرافع للكفر – عبادة سماها الله عز وجل إيمانًا ، وسمَّى رسول الله ﷺ تركها كفرًا إلا الصلاة)[1] اهـ .

وقال أيضًا : (وقد ذكر الله جل جلاله الإيمان والصلاة، و لم يذكر معها غيرها دلالة بذلك على اختصاص الصلاة بالإيمان ، فقال : ﴿ **فلا صدق ولا صلى** ﴾ أي : فلا هو

---

(١) « شعب الإيمان » (٣/٣٣) .

صدق رسول الله ﷺ فآمن به ، ولا صلى ، وقال : ﴿ **وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فبأي حديث بعده يؤمنون** ﴾ فوبَّخهم على ترك الصلاة كما وبَّخهم على ترك الإيمان ، وقد ذكر الله جل جلاله الصلاة وحدها دلالة بذلك على أنها عماد أعمال الدين)[1] اهـ ، ومثله قوله تعالى : ﴿ **والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون** ﴾ .

(١١) *الصلاة براءةٌ من النفاق*

فقد قال رسول الله ﷺ : « **مَن صلَّى لله أربعين يومًا في جماعة ، يُدرِك التكبيرة الأولى ، كُتِبَ له براءتان : براءةٌ من النار ، وبراءةٌ من النفاق** » . [حسن]

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال : (سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : « **يكشف ربنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة ، فيذهب ليسجد ، فيعود ظهره طبقًا واحدًا** »

---

(١) « شعب الإيمان » (٣/٣٣) .

أخرجه البخاري ، فبالسجود يميز الله عز وجل المؤمنين من المنافقين ، وفي ذلك قال تعالى : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلة** ﴾ وذلك أن المؤمنين لما نظروا إلى ربهم خرُّوا له سُجَّدًا ، ودُعِي المنافقون إلى السجود ، فأرادوه فلم يستطيعوا ، حيل بينهم وبين ذلك عقوبة لتركهم السجود لله في الدنيا ﴿ **وقد كانوا يُدعون إلى السجود** ﴾ في الدنيا ﴿ **وهم سالمون** ﴾ .

(١٢) الصلاة سبيلُ المؤمنين وشعارُ حزبِ الله المفلحين ، وأوليائه المرحومين

من لم يصلِّ فهو من حزب الشيطان الخاسرين ، وهو عدو الله ورسوله والمؤمنين ، لأن وليَّ الله عز وجل لا بد أن يكون مقيمًا للصلاة ، قال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ .

وعن إبراهيم ومجاهد في تفسير قوله تعالى : ﴿ **واصبر**

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴾ الآية قالا : (الصلوات الخمس) .

وعن عمرو بن مرة الجهني – رضي الله عنه – قال : (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! أرأيت إن شهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصَلَّيْتُ الصلوات الخمس ، وأدَّيْتُ الزكاة ، وصُمْتُ رمضان ، وقمته ، فمِمَّن أنا ؟ قال : « **من الصديقين والشهداء** ») . [صحيح]

فهؤلاء المصلون هم أولياء الله الذين لا خوفٌ عليهم ، ولا هم يحزنون ، وهم الذين تبكي لفراقهم السماء والأرض إذا أفضَوْا إلى ربهم ، وهؤلاء هم الذين ﴿ **أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ الذين افترض الله علينا أن نسأله في اليوم والليلة سبع عشرة مرة أن يهدينا صراطهم ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾[1] .

---

(١) ولأن الشريعة الغراء ندبتنا إلى النظر إلى من هو فوقنا في =

(١٣) الصلاة هي القاسم المشترك بين عبودية الكائنات

فقد قال تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله يسبح له مَن في السموات والأرض والطيرُ صافَّاتٍ كُلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون** ﴾ أي : قد علم كل مصلٍّ ومُسَبِّح صلاةَ نفسه وتسبيحَه الذي كُلِّفَه ، قال الزمخشري : (ولا يبعد أن يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه ، كما ألهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد العقلاء يهتدون

= العبادة ، كما يُروى عنه - ﷺ - من قوله : « **انظروا إلى من هو أسفل منكم في الدنيا ، وفوقكم في الدين** » الحديث ، فقد قال تعالى : ﴿ **واذكر ربك في نفسك تضرعًا وخِيفة ودونَ الجهر من القول بالغُدُوِّ والآصال ولا تكن من الغافلين** ﴾ ثم ذكر تعالى ما يقوِّي دواعي الذكر ، ويُنَهِّض الهمم إليه ، بمدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون ، فقال عز وجل : ﴿ **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ﴾ والمقصود : أنه ينبغي لنا الاقتداء بهم فيما ذُكر عنهم ، لأنه إذا كان حال أولئك - وهم في أعلى مقامات القُرْب والعصمة - في عبادته تعالى ما ذكر ، فكيف ينبغي أن يكون غيرهم ؟!

إليها) اهـ ، فالظاهر من الآية أن الطير تسبح وتصلي صلاة وتسبيحًا يعلمها الله، ونحن لا نعلمها، كما قال تعالى : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ .

والجنَّ أيضًا مكلَّفون بالصلاة كالآدميين قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون** ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى –: (الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم ، فإنهم ليسوا مماثلين للإنس في الحدِّ والحقيقة ، فلا يكون ما أُمروا به ونُهوا عنه مساويًا لما على الإنس في الحدِّ ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي ، والتحليل والتحريم)[1] اهـ .

والملائكة يصلون ، فقد قال تعالى في حقهم : ﴿ **فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون** ﴾ ، وقال أيضًا حاكيًا قولهم : ﴿ **وإنا لنحن الصافون** ﴾ وقال ﷺ لأصحابه : « **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟** » ثم ذكر كيفية اصطفافهم فقال : « **يتمون الصف الأول فالأول ، ويتراصُّون في**

---

(١) مجموع الفتاوي (جـ١/ ٢٣٣) .

الصف » . [رواه البخاري]

وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن « **جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة** » كما في صحيح مسلم .

وعن حكيم بن حزام – رضي الله عنه – قال : (بينما رسول الله ﷺ في أصحابه ، إذ قال لهم : « **أتسمعون ما أسمع ؟** » قالوا : « ما نسمع من شيء » ، قال : « **إني لأسمع أطيط السماء ، وما تُلام أن تئط ، وما فيها موضع شبر ، إلا وعليه ملك ساجد أو قائم** ») . [صحيح]

وقال ﷺ : «**إني لأرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته لله ساجدًا**». [صحيح]

وفي حديث الإسراء قال ﷺ : « .. **فرُفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل ، فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف مَلَك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم** » . [رواه البخاري]

وقال ﷺ : («**نزل عليَّ جبريل، فأمَّني، فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه**»، يحسب

بأصابعه خمس صلوات). [رواه البخاري]

وهم يصلون مع المؤمنين : قال ﷺ : « **إذا أمَّن الإمام فأمِّنوا ، فإن من وافق تأمينُه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه** » . [رواه البخاري]

وكذا يحضرون مع المؤمنين صلاة الجمعة ، قال ﷺ : « **إذاكان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة ، يكتبون الأولَ فالأول ، فإذا جلس الإمام طوَوْا الصحف ، وجاءوا يستمعون الذكر** » . [رواه البخاري]

(١٤) الصلاة خيرُ موضوعٍ

قال رسول الله ﷺ : « **الصلاة خيرُ موضوع ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر** » . [حسن]

أي : أن الصلاة أفضل ما وضعه الله – أي : شرعه – من العبادات ، ففرضها أفضل الفروض ، ونفلها أفضل النوافل .

وقال ﷺ : « **أفضل الأعمال : الصلاة لوقتها** » الحديث . [رواه مسلم]

وقال ﷺ : « **استقيموا ، ولن تُحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولن يُحافِظَ على الوضوء إلا مؤمن** » . [صحيح]

وعن معدان بن أبي طلحة اليعمري قال : (لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ ، فقلت : أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة ، أو قال : قلت : بأحب الأعمال إلى الله ، فسكت ، ثم سألته ، فسكت ، ثم سألته الثالثة فقال : سألت عن ذلك رسولَ الله ﷺ فقال : « **عليك بكثرة السجود لله ، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة ، وحَطَّ عنك بها خطيئة** » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - (أن رسول الله ﷺ مَرَّ بقبر فقال : « **من صاحب هذا القبر ؟** » فقالوا : « فلان » ، فقال : « **ركعتان أحب إلى هذا من بقية دنياكم** » ، وفي رواية : « **ركعتان خفيفتان بما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم** ») . [صحيح]

وكان يقول ثابت بن أسلم : (الصلاة خدمة الله في الأرض ، ولو كان شيء أفضل منها لما قال تعالى : ﴿ **فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب** ﴾) .

(١٥) الصلاة زُلفى وقربى إلى الله عز وجل

فالصلاة معراج المؤمنين ، ومحل مناجاة رب العالمين ، لا واسطة فيها بين المصلي وربه ، وبها يظهر أثر المحبة ، لأنه لا شيء ألذ عند المحب من الخلوة بمحبوبه ، ليفوز بمطلوبه .

قال تعالى في الحديث القدسي : « **وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبه ، فإذا أحببتهُ كنتُ سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيتهُ ، وإن استعاذ بي أعذته** » الحديث ، [رواه البخاري]

وقال ﷺ لكعب بن عُجرة : « **والصلاة قربان** » الحديث . [حسن]

وقال ﷺ : « **إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبزق**

أمامه ، فإنما يناجي الله تبارك وتعالى ، مادام في مصلاه » الحديث ، [رواه البخاري] ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « **من كان في الصلاة فهو يقرع باب الملِك ، ومن يقرع باب الملك يوشك أن يُفْتَحَ له** » .

وقال تبارك وتعالى في الحديث القدسي : « **أنا مع عبدي ما ذكرني ، وتحركت بي شفتاه** » . [صحيح]

وهذه هي المعية الخاصة بأولياء الله الصالحين ، وعباده المقربين بالنصر والتأييد ، والحفظ والكلاءة ، والمحبة والتوفيق .

إلى أن قال جل وعلا : ﴿ **أرأيت الذي ينهى عبدًا إذا صلى** ﴾ ﴿ **كلا لا تطعه** ﴾ أي : فيما دعاك إليه من ترك الصلاة .

﴿ **واسجد** ﴾ أي : صَلِّ لله ﴿ **واقترب** ﴾ أي : تقرب إلى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة ، والدعاء ، لأن السجود هو أقرب هيئات المصلي وأحبها إلى الله ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء** » . [رواه مسلم]

فمن أكثر السجود ، ازداد قربًا من الله تعالى ، لأن السجدة نهاية العبودية والذلة ، ولله غاية العزة ، وله العزة التي لا مقدار لها ؛ فكلما بَعُدت من صفته ، قربت من جنته ، ودنوت من جواره في داره ، ومن تواضع لله رفعه ، وليس بعد السجود تواضع ، ولقد أحسن من قال :

وإذا تَذَلَّلَتِ الرقابُ تواضعًا مِنَّا إليك فعِزُّها في ذُلِّها

(١٦) الصلاة مدرسة خُلُقية

قال الله تعالى : ﴿ **إن الإنسان خُلق هلوعًا * إذا مسَّه الشر جزوعًا * وإذا مسَّه الخير منوعًا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ فاستثنى المحافظين على الصلاة من أصحاب الأخلاق الذميمة ، قال الشيخ أبو الحسن الندوي – حفظه الله – مبينًا تأثير الصلاة في الأخلاق والميول: (وللصلاة تأثير في صرف النفس عن الأخلاق الرذيلة ، والفحشاء والمنكر ، والتمتع بالمتعة الرخيصة ، ليس لشيء آخر بعد كلمة التوحيد ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ **اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى**

عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ ، وذلك لأنها تصرف صاحبها من جهة إلى جهة ، ومن ذوق إلى ذوق ، ومن طلب إلى طلب ، ومن تفكير إلى تفكير ، ومن سفاسف الأمور إلى معاليها[1] ،

---

(١) وذلك لأن الاستعداد الدائم للصلاة قبلها ، ثم الانشغال بما بعدها من الذكر والتنفل ، يحقق استيعاب أكثر الأوقات في أسمى المقاصد وهو ذكر الله عز وجل ، كما أن المرء إذا نام وهو ينوي قيام الليل ، فإن هذه العزيمة تحول دون استغراقه في النوم البهيمي ، بل يبقى قلبه في حالة استنفار لهذا الذكر حتى في حالة تقلبه في النوم ، وفي ذلك يقول ﷺ : (**من تعارَّ من الليل ، فقال حين يستيقظ : « لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يُحيي ويُميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ؛ سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » ثم قال : « اللهم اغفر لي » ، أو دعا استُجيب له، فإن قام فتوضأ ، ثم صلى ، قُبلت صلاته**) . [رواه البخاري] ، ولو توزعت همته بين ارتفاق دنيوي ،وبين محافظة على وقت صلاة أو ورد لا يفوته ، لا يتجرد للدنيا ، ولا يتثاقل إلى الأرض ، ، بل يظل موصولًا بالله ، وهذا سر قوله تعالى : **﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ﴾** الآية .

وتحبب إليه الإيمان ، وتزيِّنه في قلبه ، وتكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان ، هذا ، إذا كانت الصلاة حقيقة تتدفق بالحياة ، وتفيض بالحرارة والقوة ، ولذلك لما فوجىء قوم شعيب بالدعوة إلى التوحيد ، والفضيلة والتقوى ، والإنكار على ما كانوا فيه من ظلم وبخس وتطفيف ، أقبلوا على حياة شعيب يلتمسون فيها مصدر هذا الانقلاب وهذا الاختلاف ، فقد وُلد ونشأ فيهم كابن قبيلة وابن بلد ، والذي يردون إليه طبيعة هذا الخصام والنزاع ، فلم يجدوا في حياته شيئًا أوضح من الصلاة التي كانوا يشاهدونها ، ويتعجبون لحسنها وطولها ، فقالوا : ﴿ **يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد** ﴾) اهـ[1].

إن الصلاة مدرسة خلقية تهذيبية عملية ، تغرس في النفس الانضباط ، وتدرب على حب النظام ، والتزام التنظيم الدقيق في شئون الحياة ، وبها يتعلم المرء خصال الحلم والأناة والسكينة والوقار ، ويتعود على حصر ذهنه في المفيد النافع ،

---

(١) « الأركان الأربعة » ص (٤٩) .

لِتعوُّدِهِ على تركيز الانتباه لمواقيت الصلاة ، وشروط الصلاة ، واستصحاب الطهارة ، والحذر من مبطلاتها ، وتركيز الانتباه في معاني القرآن الكريم وعظمة الله تعالى ، ومعاني الصلاة .

(١٧) الصلاة راحةٌ وسعادةٌ وقُرَّةُ عينٍ

في الصلاة راحة نفسية كبيرة ، وطمأنينة روحية ، وسلامة من الغفلة التي تصرف الإنسان عن رسالته السامية في هذه الحياة ، ولو فقه أطباء الصحة النفسية لصدَّروا الصلاة في مقدمة ما يصفونه لمرضاهم من العلاج[1]، فإن

---

(١) وفي الصلاة علاج وشفاء من أمراض نفسية عديدة ، كالقلق والجزع ، قال تعالى : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسَّه الشر جزوعًا ، وإذا مسَّه الخير منوعًا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ الآيات ، وكعقدة الذنب : فقد وصف الإسلام دواءً يقتلع هذا الداء العضال فقال تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ ، فالصلاة كفارة للخطايا ، محَّاءة للذنوب ، مطهرة من الآثام . والصلاة تشفي من « مركب النقص » حيث يتساوى المصلون بين يدي خالقهم ، لا =

في الصلاة وجبات روحية ، وحقًا صحية شرعها خالق البشر ، لا يعلم أسرارها إلا الله تعالى وهي تروي الظمأ الروحي ، وتشبع أشواق النفس إلى الدعة والسكينة ، بما لا تسديه العقاقير والأدوية ، وقد خضعت الأجيال البشرية ، والعقول السليمة لتوجيهات أطباء البشر ووصاياهم ، لتجارب محدودة ، وتخمينات مظنونة .. ﴿ **فما ظنكم برب العالمين** ﴾ ، ﴿ **الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ ، ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ ، الذي قال في كتابه الكريم : ﴿ **قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ ، والصلاة حافلة بذكر الله تعالى والعبودية له عز وجل ، لذلك فهي تشرح الصدر ، وتذهب ضيقه ، ومن تأمل قوله تعالى : ﴿ **ولقد**

= يتفاضلون إلا بالتقوى منتمين إلى حزب الله المفلحين ، في كل زمان ومكان ، قائلين : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » مما ينشىء في المصلي الأمل والثقة ، ويحارب فيه اليأس ، حيث ينخرط في نظام « عباد الله الصالحين » وأوليائه المتقين .

نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ بأن له ذلك ، فإن من أدى حق الصلاة وجد في نفسه خفة إذا انصرف منها ، وأحس بأثقال قد وُضعت عنه ، فوجد نشاطًا وراحة ورَوْحًا ، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها ، لأنها قرة عينيه ونعيم روحه ، وجنة قلبه ، ومستراحه في الدنيا ، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها ، فيستريح بها ، لا منها .

فالمحبون يقولون : « نصلي ، فنستريح بصلاتنا » ، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ لبلال مؤذنه - رضي الله عنه -: « **يا بلال ! أقم الصلاة ، أرِحْنا بها** » . [صحيح]

وقال ﷺ : « **وجُعِلت قرة عيني في الصلاة** »

[صحيح]

ولن تجد وصفًا لأعز محبوب إلى القلب ، وألصقه به ، أعظم من كونه « قرة العين »[1].

---

(١) ولك أن تتصور كيف تكون لذة قلب المصلي ، وسرور نفسه ، وقرة عينه حين يعلم أن الله سبحانه وتعالى يجيبه كلما قرأ شيئًا من الفاتحة : « حمدني عبدي » ، « أثنى عليَّ عبدي » ، =

ولذلك كان حنين الرعيل الأول إلى الصلاة ، وإيثارهم إياها على كل ما حُبِّب إلى النفس البشرية ، ومخاطرتهم بأنفسهم وحياتهم في سبيلها معروفة عند المشركين ، وقد روى مسلم عن جابر– رضي الله عنه– قال: (غزونا مع رسول الله ﷺ قومًا من جهينة ، فقاتلوا قتالًا شديدًا) الحديث ، وفيه : (وقالوا – أي المشركون –: إنه ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد) .

ولكونها كانت « قرة عينه ﷺ كان ﷺ يطيل القيام والتهجد ، ولا يقوى على مفارقتها » .

عن حذيفة – رضي الله عنه – قال : (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة ، فافتتح « البقرة » ، فقلت : « يركع عند المائة » ، ثم مضى ، فقلت : « يصلي بها في الركعة » ، فمضى ، فقلت : « يركع بها » ، ثم افتتح « النساء » ، فقرأها ، ثم افتتح « آل عمران » فقرأها ، يقرأ مترسِّلًا إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح ، وإذا مرَّ بسؤال سأل ، وإذا مَرَّ

= « مجَّدني عبدي » حتى إذا سأله الهداية إلى الصراط المستقيم أجابه ربه : « هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل » .

بتعوذ تعوذ ، ثم ركع ، فجعل يقول : « **سبحان ربي العظيم** » ، فكان ركوعه نحوًا من قيامه ، ثم قال : « **سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد** » ، ثم قام قيامًا طويلًا قريبًا مما ركع ، ثم سجد ، فقال : « **سبحان ربي الأعلى** » ، فكان سجوده قريبًا من قيامه) [رواه مسلم] ، وفي رواية للنسائي : (لا يمر بآية تخويف أو تعظيم لله عز وجل إلا ذكره) . وهكذا اقتدى به رجال السلف ، فكانت الصلاة تستغرق نفوسهم ، وتستولي على قلوبهم ، حتى يغيبوا عما حولهم :

روي أن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنهما – كان يصلي في جوف الكعبة وهو محاصَرٌ بجيش عبد الملك بن مروان الذي يسدد ضرباته بالمنجنيق من جبل أبي قبيس للقضاء عليه وعلى أتباعه ، ومرت فلقة من حجر عظيم بين لحيته وحلقه ، فما زال – رضي الله عنه – عن مقامه ، ولا ظهر على صورته همٌّ ولا اهتمام ، ولا قطع قراءته ، ولا ركع دون ما يركع ، حتى فرغ من صلاته .

بل إنه كان يصلي حين تقف الضربات أحيانًا فتسقط

العصافير على ظهره من أعلى الحرم ، تصعد وتنزل في أمان ، وهي تظنه جذم حائط ، أو جذع شجرة .

ولقد ركع ذات مرة ، وكان رجل من أصحابه يقرأ القرآن ، فما قام – رضي الله عنه – من ركعته حتى انتهى الرجل من تلاوة « البقرة » و « آل عمران » و « النساء » و « المائدة » .

وروي أنه كان يصلي ذات يوم في بيته ، فسقطت حية من السقف ، فطوقت على بطن ابنه « هاشم » ، فصرخ النسوة ، وانزعج أهل الدار ، واجتمعوا على قتل الحية ، فقتلوها ، وسلم الولد ، فعلوا كل ذلك ، وابن الزبير في صلاته، لم يلتفت، ولا درى بما كان حتى فرغ من صلاته .

وكان أبو مسلم الخولاني – رحمه الله – يجتهد في العبادة ، ويقول : « أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا ؟! كلا والله ، لنُزاحِمنَّهم عليه زحامًا ، حتى يعلموا أنهم قد خلَّفوا وراءهم رجالًا » .

وقال عدي بن حاتم – رضي الله عنه –: « ما دخل عليَّ وقتُ صلاة إلا وأنا مشتاق إليها » وكيف لا ، وقد

قال الصادق المصدوق ﷺ : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله** » الحديث ، وفيه : « **ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه** » . [متفق عليه]

ومقصوده ﷺ : تردده إليه في جميع أوقات الصلاة ، فلا يصلي صلاة إلا في المسجد ، ولا يخرج منه إلا وهو ينتظر أخرى ليعود فيصليها فيه ، فهو ملازم للمسجد بقلبه ، ولو كان بدنه خارجًا منه ، فهو في ذلك كالسمك لا يعيش إلا في الماء ، وإذا أخرج من الماء لم يزل في حاجة إلى الماء ، وفي حنين وفي فرار والتجاء إليه ، وذلك معنى كونها « قرة عين » و « راحة » .

ولذلك كان أحدهم لا يتحسر على شيء يفوته بعد الموت كما يتحسر على انقطاعه به عن الصلاة :

فعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : (لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يومًا واحدًا : الظمأ لله بالهواجر ، والسجود في جوف الليل ، ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما يُنتقى أطائب التمر) ولما حُضِر عامر بن عبد قيس – رحمه الله – جعل يبكي ، فقيل له : « ما

يُبكيك ؟ » ، قال : « ما أبكي جزعًا من الموت ، ولا حرصًا على الدنيا ، ولكن أبكي على ظمإ الهواجر ، وعلى قيام ليالي الشتاء » .

وعن أبي رجاء قال : (ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أن أُعَفِّر وجهي في التراب كل يوم خمس مرات لربي عز وجل) .

بل قال ثابت – رحمه الله –: « اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي » .

وقال بعضهم معبرًا عن هذا النعيم وقرة العين بذكر الله والصلاة : (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه ، لجالدونا عليه بالسيوف) ، وقال آخر : (إنه لتمر بي أوقات أقول : إنْ كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب) ، وقال آخر : « مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا لذيذ العيش فيها ، وما ذاقوا أطيب ما فيها » ، وقال آخر : « إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة » .

وما ذاك إلا لأن الله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن

بالله وعمل صالحًا ، والصلاة رأس الأعمال الصالحة ، قال تعالى : ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ ، فضمن لأهل الإيمان والعمل الصالح الجزاء في الدنيا بالحياة الطيبة ، والحسنى يوم القيامة ، فلهم أطيب الحياتين في الدارين .

(١٨) الصلاة نورٌ وبرهانٌ ووَضَاءةٌ

فالصلاة نور يزيل ظلام الزيغ والباطل ، وهي تنور وجه صاحبها في الدنيا ، وتكسوه جمالًا وبهاءً كما هو مشاهد محسوس ، وتنير قلبه ، لأنها تشرق فيه أنوار المعارف ، وتنير ظلمة قبره كما قال أبو الدرداء – رضي الله عنه –: « **صلوا ركعتين في ظُلَم الليل لظلمة القبر** » ، كما أنه يتلألأ على جبين المصلي يوم القيامة ، قال ﷺ : « **والصلاة نور** » ، [رواه مسلم] ، وقال أيضًا : « **والصلاة برهان** » [صحيح] ، أي : حجة ودليل على إيمان صاحبها .

والصلاة وضاءة الوجه وإشراقه :

فقد قال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركَّعًا سُجَّدًا يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾ .

قوله عز وجل : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾ قيل : الصلاة تحسِّن وجوههم ، قال ابن عباس : « السمت الحسن » ، وعن منصور عن مجاهد قال : « الخشوع » ، قلت : « ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه » ، فقال : « ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبًا من فرعون » .

فهذه السيما تظهر على وجوه المصلين من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف ، وما هي إلا أثر خشوع القلب وسكينة النفس ، يفيض على ملامح الوجه ، حيث يتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة ، ويحل محلها التواضع النبيل ، والشفافية الصافية ، والوضاءة الهادئة ، والذبول الخفيف الذي يزيد

وجه المؤمن وضاءة وصباحة ونبلًا .

فيبدو المصلي نتيجة الخشوع والخوف والرجاء والحمد والتسبيح كأنه إنسان جاء من الآخرة ليحدث الناس بما شاهد هنالك ، أو كإنسان انفلت من جيل الأوائل وقفز ليعيش بيننا في عصرنا .

وعن بريدة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **بَشِّرِ المشَّائين في الظُّلَم إلى المساجد ، بالنور التام يومَ القيامة** » . [صحيح]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الله لَيُضيء للذين يتخلَّلون إلى المساجد في الظُّلَم بنور ساطع يوم القيامة** » [حسن]

وعن عبد الله بن عمرٍو – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال : « **من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون ، وهامان ، وفرعون ، وأُبَيِّ بن خلف** » .

[صحيح]

وقال ﷺ : « **ما من أمتي من أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة** » ، قالوا : « وكيف تعرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق ؟ » ، قال : « **أرأيت لو دخلت صِيرة**[1] **فيها خيل دهم**[2] **بهم**[3]**، وفيها فرس أغر**[4] **محجل**[5]**، أما كنت تعرفه منها ؟** » ، قال : « بلى » ، قال : « **فإن أمتي يومئذ غُرٌّ من السجود ، مُحَجَّلون من الوضوء** » [صحيح]

(١٩) الصلاة من سنن الهدى

فقد قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: (إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى ، وإن من سنن الهدى الصلاةَ في المسجد الذي يُؤَذَّن فيه) رواه مسلم .

وعنه – رضي الله عنه – قال : « من سَرَّه أن يلقى الله

---

(١) الصِيرة: حظيرة تتخذ للدواب من الحجارة وأغصان الشجر .

(٢) دُهم : سود ، من أدهم أي : أسود .

(٣) بهم : جمع بهيم ، وهو في الأصل من لا يخالط لونَه لونٌ سواه .

(٤) أغر : من الغرة ، وأصلها بياض في وجه الفرس .

(٥) مُحَجَّل : أي : أبيض مواضع الوضوء من الأيدي والأقدام .

غدًا مسلمًا ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس ، حيث يُنادَى بهن ، فإنهن من سنن الهدى[1]، وإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، ولَعمري لو أن كُلّكم صلى في بيته ، لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد رأيت الرجل يُهادَى[2] بين الرجلين ، حتى يدخل في الصف » .

[صحيح]

(٢٠) الصلاة منحةٌ ربانيةٌ

فقد تميزت الصلاة على ما عداها من الفرائض بخصائص لا تُحصى ، فقد تولى الله عز وجل إيجابها بنفسه تعظيمًا لشأنها ، وتنويهًا بقدرها ، وأخذها المصطفى ﷺ عن الله

---

(١) المقصود من « سنن الهدى » طريقة رسول الله ﷺ التي كان عليها ، وشريعته التي شرعها لأمته ، وليس المراد بها السنة التي من شاء فعلها ومن شاء تركها ، فإن تركها لا يكون ضلالًا ، ولا من علامات النفاق كصلاة الضحى ، وصيام التطوع ، والله تعالى أعلم .

(٢) يُهادى : يتمايل .

عز وجل مباشرة بدون واسطة ليلة الإسراء ، فكانت المنحة الربانية التي منحها الله عز وجل نبيه وخليله ﷺ ليلة الوصل الأعظم ، مكافأة له على ما قام به من العبودية الصادقة لربه عز وجل بما لم يسبقه إليه سابق ، ولن يلحقه لاحق .

(٢١) الصلاة شكرٌ لنِعَمِ الله عز وجل

لا يختلف العقلاء في استحسان شكر المنعم ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى الشكر سببًا للمزيد من فضله ، وحارسًا لنعمته ، فالشكر قيدُ النعم الموجودة ، وصيد النعم المفقودة ، والنفوس السوية مجبولة على الاعتراف بفضل صاحب الفضل وشكره ، ويتضاعف هذا الشكر كلما تعددت النعم وتنوعت ، ويتعاظم بتعاظم المنعم ، ولا مُنعِمَ أعظم من الله تعالى الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، فأوجدنا من العدم ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ وكَرَّمنا بالعقل والفطرة السوية ، وأعزنا بالإسلام ، وهدانا إلى الإيمان ، وغمرنا بالعطايا والهبات

والإحسان ، ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ .

فإذا كانت نعم الله علينا لا تُحصى ، وهباته التي اختصنا بها لا تنقطع ، وعطاياه التي تتدفق علينا وتغمرنا كالمطر الغزير لا تتوقف ، فإن حقه تعالى علينا أن نكون في عبادة دائمة لا تنقطع ، وتبتل وإخبات لا يتوقف ، وأن نكون كالملائكة الذين ﴿ **يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ ، لكن وظائف الاستخلاف في الأرض تأبى أن نكون في ركوع أو سجود دائم ، وتسبيح لا ينقطع ، وذكر لا يفتر ، فجاءت الصلاة مطابقة لوضعنا الخاص ، ومركزنا الدقيق ، وموقعنا الفريد في هذا الكون ، لتُكَوِّنَ جزءًا من حقيقة شكر نعم الله علينا ، قال تعالى : ﴿ **واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون** ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ **واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ ، وقال جل وعلا : ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا** ﴾ والصلاة أفضل الأعمال ، فهي أعظم ما يعبر به عن شكر نعمة الله . ولما بشر الله تبارك وتعالى خليله محمدًا ﷺ وأقر عينه بقوله : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ وهو الخير الكثير الذي منه نهر الكوثر في الجنة ، وحوضه في الموقف ؛ أتبع سبحانه ذلك

بإرشاده إلى كيفية شكر هذه النعمة فقال : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ ، ولما أنعم الله تعالى عليه بالفتح الأعظم فتح مكة ، بادر إلى شكر هذه النعمة الكبرى ، فدخل دار أم هانىء بنت أبي طالب ، واغتسل ، وصلى ثمان ركعات « صلاة الفتح » شكرًا لله تعالى . [متفق عليه]

وعن المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – قال : قام النبي ﷺ حتى تورَّمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » .

وعن عطاء قال : [دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة – رضي الله عنها –، فقال عبيد بن عمير : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ ، فبكت ، وقالت : (قام ليلة من الليالي فقال : « **ذريني أتعبد لربي** » ، قالت : قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلي ، فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بل الأرض ، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال :

يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا ؟ لقد نزلت عَلَيَّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها : ﴿ إن في خلق السموات والأرض ﴾** » الآيات] .

[إسناده قوي ، على شرط مسلم]

عن أبي ذر – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال : « **يصبح على كل سُلامي من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى** ».

[رواه مسلم وغيره]

وعن أبي بريدة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **في الإنسان ثلاثمائة وستون مفصلًا ، فعليه أن يتصدق عن كل مفصل صدقة** » قالوا : فمن يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « **النخامة في المسجد تدفنها ، والشيء تنحيه عن الطريق ، فإن لم تقدر فركعتا الضحى تجزىء عنك** » .

[صحيح]

فيا من تضيعون الصلاة اشتغالًا بالدنيا ، لا تغتروا بما أنعم الله عليكم من صحة وعافية ، ورزق ومال ، فاعرفوا قدر نعم الله عليكم ، واشكروا له حق الشكر : ﴿ **ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد** ﴾ ، واستعينوا بنعم الله على طاعته ومرضاته ، ﴿ **واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾ ، قال بعض السلف : « من تفكر في خلق نفسه علم أنما لينت مفاصله للعبادة » ، ولا تتقووا بها على عصيانه وكفرانه :

أَنَالَكَ رزقَهُ لتقومَ فيه بطاعته وتَشكُرَ بعضَ حَقِّه
فلم تشكر لنعمته ولكن قويتَ على معاصيهِ برزقه

(٢٢) الصلاة إغاظةٌ للكافرين ومُراغَمةٌ لأعداء الدين

(لا شيء أحب إلى الله من مراغمة أوليائه لأعدائه ، وإغاظتهم لهم ، ومن أجل ذلك قال تعالى : ﴿ **ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة** ﴾ .

كما قال تعالى : ﴿ **ولا يطئون موطِئًا يغيظ الكفارَ ولا ينالون من عدٍّو نيلًا إلا كُتب لهم به عمل صالح إن الله**

لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ، ووصف خليله محمدًا ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم بأنهم كزرع ﴿ **يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار** ﴾ فمغايظة الكفار غاية محبوبة للرب جل وعز مطلوبة له ، فموافقته فيها من كمال العبودية .

وشرع النبي ﷺ للمصلي إذا سها في صلاته سجدتين ، وقال– فيما رواه مسلم وغيره–: « **إن كانت صلاته تامة كانتا ترغمان أنف الشيطان**» ، وفي رواية: «**ترغيمًا للشيطان**» وسماهما : « **المرغمتين** » ، فمن تعبد الله بمراغمة عدوه ، فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر ، وعلى قدر محبة العبد لربه ، وموالاته ومعاداته لعدوه ، يكون نصيبه من هذه المراغمة ، ولأجل هذه المراغمة حُمد التبختر بين الصفين ، والخيلاء والتبختر عند صدقة السر ، حيث لا يراه إلا الله لما في ذلك من إرغام العدو ، وبذل محبوبه من نفسه وماله لله عز وجل .

وهذا باب من العبودية لا يعرفه إلا القليل من الناس ، ومن ذاق طعمه ولذته بكى على أيامه الأُوَل)[1].

---

(١) من « مدارج السالكين » (١/ ٢٢٦ – ٢٢٧) بتصرف .

والمقيم الصلاة إذا نظر إلى الشيطان ، ولاحظ كم يغيظه لراغمه بالمحافظة عليها وإقامة حدودها ، فأحدثت له هذه المراغمة عبودية أخرى .

إن الشيطان شديد الحرص على صد الناس عن الصلاة[1] قال تعالى : ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** ﴾ ، وكم يغتاظ الشيطان إذا رأى العبد يسجد بين يدي الله ، فيحقد عليه ، ويعلن له العداوة :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويلي ، أُمِر ابن آدم بالسجود**

---

(١) وحُقَّ لإبليس أن تغيظه الصلاة ، وترغم أنفه ، كيف لا وهي التي تعصم مقيميها من شَرَك الشرك ، وعبادة الشيطان من دون الرحمن ؟ ! عن جابر – رضي الله عنه – قال : (سمعت النبي ﷺ يقول : « **إن الشيطان قد أَيِسَ أن يعبدَه المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم** ») . [رواه مسلم]

فسجد ، فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار».

[رواه مسلم]

وإذا لم يستطع الشيطان أن يصد الناس عن الصلاة، فإنه يجتهد في إفسادها ، وتقليل أجرها ، **فقد** جاء أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ يقول له : « إن الشيطان **قد** حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يُلبِّسها عَلَيَّ » ، **فقال** رسول الله ﷺ : « **ذاك شيطان يقال له** : « **خِنزب** » ، **فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل على يسارك ثلاثًا** » ، قال : « فنعلت ذلك ، فأذهبه الله عني » . [رواه مسلم]

فإذا دخل العبد في صلاته أجلب عليه الشيطان يوسوس له ، ويشغله عن طاعة الله ، ويذكره بأمور الدنيا ، **فقد قال** رسول الله ﷺ : « **إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة ، أحال**[1] **له ضُراطٌ ، حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكت رجع فوسوس ، فإذا سمع الإقامة ، ذهب حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكت رجع فوسوس** » [رواه مسلم] ، وفي رواية – متفق عليها –: « **فإذا قضى التثويب أقبل ، حتى**

---

(١) أي : ذهب هاربًا .

يخطُر[1] **بين المرء ونفسه ، يقول له : اذكر كذا ، اذكر كذا ، لما لم يكن يذكر من قبل حتى يظل الرجل ما يدري كم صلى »** .

فإذا عجز الشيطان بنفسه عن صد العبد عن الصلاة أجلب عليه بخيله ورجله ، وظاهر عليه بجنده ، وسلَّط عليه حزبه وأهله بأنواع التسليط ، وكلما جَدَّ في إقامة الصلاة ، جَدَّ الشيطان في إغراء السفهاء به ﴿ **وإذا قمتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا ولعبًا** ﴾ ، فتارة يسخرون منه ، وتارة يهزأون ، وأخرى يتغامزون ، ﴿ **أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ .

إن إقامة الصلوات والإعلان بها يصبغ المجتمع بصبغة الله ، ويظهر شعائر الإسلام ، ويجسد اعتزاز المسلمين بإسلامهم ، ويغيظ أعداء الدين الذين يزعجهم رجوع الناس إلى ربهم ، واستعلانهم بشعائر دينهم .

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله

---

(١) أي : يدنو منه ، فيمر بينه وبين قلبه ، فيشغله عما هو فيه .

ﷺ : « **ما حسدتكم اليهود على شيءٍ ما حسدتكم على السلام والتأمين** » . [صحيح]

فكيف بما عدا التأمين من إعلان الأذان ، وتعمير المساجد ، وتراصِّ المصلين ، راكعين ، ساجدين ، خاشعين ؟!

قال « رينان » الفيلسوف الفرنسي : (ما دخلت مسجدًا قط دون أن تهزني عاطفة حارة ، أو بعبارة أخرى : دون أن يصيبني أسف محقق على أني لم أكن مسلمًا) .

(٢٣) الصلاة تحريرٌ للبشرية

يكثر الكلام في هذا الزمان عن « الحرية » تلك الكلمة الرنانة ، والمحببة إلى النفس ، ويُحاول كثير من النظم والهيئات تحقيق « الحرية » حسب فهم كل منها لمبدإ الحرية ، والإنسان فقير بذاته يتطلع بفطرته إلى الخضوع والذل و « العبودية » لخالقه وفاطره الغني بذاته :

والفقر وصف ذات لازم لي أبدًا كما الغنى أبدًا وصف له ذاتي

فمن ثم لا يستقيم حاله ، ولا يطمئن قلبه ، إلا إذا آوى إلى مولاه ، وطرح نفسه على عتبته ، وأمعن في العبودية

الخالصة له دون سواه ، إذ إن هذه « العبودية » هي أرقى مراتب الحرية، لأن العبد إذا تذلل إلى مولاه وحده فإنه يتحرر من كل سلطان ، فلا يتوجه قلبه ، ولا يطأطىء رأسه إلا لخالق السموات والأرض .

ولا بد للإنسان من « العبودية » فإن وضعها موضعها ، وإلا تلطخ بالعبودية لغير الله تعالى من الأنداد والشياطين ، والمسلم يتحرر بإسلامه من سيطرة الهوى والشهوة، والسلطان الذي يسيطر عليه هو سلطان الدين الحنيف ، قال تعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾ إذن هي حرية في صورة العبودية ، ولا يمكن للبشرية أن تتحرر حقًّا إلا بتحقيق هذه العبودية .

إن الحرية في غير الإسلام تصبح جوفاء لا معنى لها ، بل هي العبودية المذلة المهينة ، وإن بدت في صورة الحرية ، إن الخضوع للطواغيت والمناهج والقوانين التي بنيت على ما تهواه الأنفس بعيدًا عن تشريع الخالق جل وعلا إنما هو عبودية لغير الله ، وأيِّ عبودية ؟!

هربوا من الرِّقِّ الذي خُلِقوا له   فَبُلُوا بِرِقِّ الكفر والشيطانِ

يقول فضيلة الشيخ الدكتور عمر سليمان الأشقر أعزَّه الله تعالى :

(إنَّ مفهوم العبودية لله في الإسلام يعني الحرِّية في أرقى صورها وأكمل مراتبها ، العبودية لله إذا كانت صادقة تعني التحرر من سلطان المخلوقات والتعبد لها ، فالمسلم ينظر إلى هذا الوجود نظرة صاحب السلطان ، فالله خلق كل ما فيه من أجلنا ، وسخَّره لنا : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْه** ... ﴾ .

وما دام الأمر كذلك فالمسلم لن يخضع لهذه المخلوقات ، ولن يقصدها ؛ لأنها أقل منه شأنًا ، فهي مخلوقة لنفعه وصلاحه .

والمسلم لن يستعبده إنسان مثله ، فالنَّاس جميعًا عبيد الله ، فإنْ حاول بعض المتمردين من بني الإنسان أن يطغى ويبغي – وقف المسلم في وجهه يقول كلمة الحق ، ويذكِّر هؤلاء بأصلهم الذي منه خلقوا ، ومصيرهم الذي لا بدَّ لهم منه ، ويذكِّر هؤلاء بضعفهم وعجزهم ، علَّهم يفيقون ويرجعون ، وبالعبودية لله يتحرَّر الإنسان مِنْ

أَهْوائِهِ ، فالهوى شَرُّ وثنٍ يُعْبد : ﴿ **أرأيتَ مَنِ اتَّخذَ إلهَهُ هَوَاهُ** ﴾ فالهوى قد يُجْعل إلهًا معبودًا يسيطر على نفس صاحبه ، فلا يصدر إلَّا عن هواه ، ولا يسعى إلَّا لتحقيق ما يبعثه إليه ، والإسلام يعتبر الخضوع لأهواء النفس التي تدعو إلى المحرمات والآثام عبودية لهذه الأمور ، أمَّا التسامي عمَّا تدعو إليه النفس من المحرَّمات – وإن كانت محبوبة للنفوس – فإنَّه يمثل في الإسلام الحريَّة الحقَّة ، لأنَّه وإنْ قيدت حرِّيته من جهة ، بأن أُلزِم بترك بعض ما يشتهي ، إلَّا أنَّه تحرَّر من سلطان الهوى من جهة أخرى .

والذين يزعمون أنَّهم يستطيعون تحقيق الحريَّة بعيدًا عن الله ومنهجه مخطئون ، لأنَّ الإنسان ، بل كلُّ مخلوق ، سيبقى عبدًا شاء أم أبى ، إلَّا أنَّه إن رفض الخضوع لله اختيارًا ؛ فسيخضع لمخلوق مثله ، لا يملك له نفعًا ولا ضَرًّا ، بل قد يخضع لمن هو أقل منه شأنًا ، وبذلك يكون قد استبدل عبودية بعبودية ، ولم يخرج من العبودية إلى الحرية ، بل خرج من عبودية الله إلى عبودية الطاغوت ، وثنًا ، أو صنمًا ، أو بشرًا ، أو شمسًا ، أو قمرًا ....، وقد

ذمَّ الله كلَّ من كانت هذه صفته ﴿ **وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾ ، فمما ابتلاهم به جزاء تكذيبهم أن جعلهم عبيدًا للطواغيت بعد أن كانوا عبيدًا لله .

وفي هذه الأيام تتردَّد كلمة الحريَّة ، ويزعمون أنَّ الثورة الفرنسية أعلنت هذا المبدأ ، وأنَّ هيئة الأمم المتحدة أقرت الحرية مبدأ ، وليس الأمر كذلك ، فإنَّ ما فعله هؤلاء أنَّهم أخرجوا النَّاس من عبودية نظام وقانون وطائفة ، إلى عبودية نظام آخر ، وقانون آخر ، وطائفة أخرى ، ولكنَّ هؤلاء جميعًا بَقَوْا عبيدًا ، وإن ظنُّوا أنفسهم أحرارًا ، ولن يحرِّرهم من سلطان البشر ويخلصهم من العبودية الظالمة إلَّا أن يكونوا عبيدًا لله ، يقصدونه وحده ، وعند ذلك يتحرَّرون من سلطان الآخرين ، حتى من هوى النفوس التي تتردَّد في أجسادهم) اهـ .

ثم نعى فضيلته على النظم الشرقية المنهارة ، والنظم الغربية الفاشلة في تحرير الإنسان تحريرًا حقيقيًّا ، فقال – حفظه الله–: (لقد أخرجوا النَّاس من ظلمات متراكمة إلى ظلمات

أشدّ ، وأخرجوهم من عبودية إلى عبودية ، ولن يكون من مخلص من العبودية لغير الله إلا هذا الإسلام ، ولقد صدق **مُوفَد** المسلمين ، وبرَّ حين واجه قائد الفرس قائلًا : « الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة » ، وكل من لم يرض بالإسلام دينًا ، وبحكمه حكمًا ، فإنَّه غارق في قاذورات الجاهلية : ﴿ **أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ ، والذين يرفضون أن يكون الله معبودهم فإنَّهم يهينون أنفسهم بتعبيدها لمخلوقات أقل منها شأنًا ، وأحقر منزلة ، وهم في ذلك يَدُسُّون هذه النفوسَ ، والإسلام يعدّ الذي يكون جلّ همِّه وغاية مطلبه الدينار والدرهم والملبس والمأكل ؛ عبدًا لهذه التي سيطرت على نفسه ، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « **تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تعس عبد الدرهم ، تَعِسَ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ** ») اهـ .

وأما تجلي هذه « الحرية » الحقيقية عبر أفعال الصلاة وأقوالها ، فقد تولى بيان ذلك بيانًا شافيًا الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي – حفظه الله – في بحثه القيم : « الأركان الأربعة » فقال ما ملخصه :

(.. شرع افتتاح الصلاة بالتكبير ، وبالكلمة المأثورة المتواترة المشروعة ، لافتتاحها ، وهي قول : « الله أكبر » ، الكلمة البليغة الواضحة ، المفهومة في كل زمان ومكان ، ولكل مجتمع وبيئة وفرد ، القوية المدوِّية المجلجلة ، التي يخشع أمامها الجبابرة ، ويهوي لها كل صنم ، ويضطرب بها كل طاغية وطاغوت ،– لو قالها المصلي بفهم ووعي ، وإيمان وعقيدة ،ولو فهمها الأدعياء والمتزّعمون ، والمتسلّطون على حقيقتها –، إن القدر المُشترك بين الأصنام التي تُعبد ، والأشخاص التي تؤلَّه ، والأشياء التي تقدَّس ، والقوى التي يخضع لها ، والرؤساء والزعماء الذين يطاعون طاعة عمياء مطلقة ، هو العظمة والكبرياء ، والتفوُّق والترفُّع ، والاستعلاء والاستيلاء ، فجاءت هذه الكلمة الموجزة المعجزة التي أمر بها في قوله : ﴿ **وربك فكبر** ﴾ ؛

تنفي هذه الدعاوي والدعوات ، والمزاعم والإعلانات ، والأوهام والخرافات ، والمظاهر والسخافات ، ويثور بها المصلي ثورة حاسمة عارمة ، شاملة كاملة ، فهو بذلك « لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلَّا أحصاها » ولا وكرًا من أوكار الفساد ، ولا خلية من خلايا الطغيان ، إلَّا أتى عليها ، إنها أبلغ كلمة تفتتح بها صلاة المسلم الموحِّد .

وإذا آمن الإنسان بهذه الكلمة ، التي يفتتح بها صلاته ، فيعتقد ويشهد بعظمة الله وكبريائه ، ويقول بلسان صدق وجدٍّ : « الله أكبر » وهيمنت عليه هذه العقيدة والشهادة ، وتغلغلت في أحشائه ، تضاءلت أمامه كل عظمة وكبرياء ، يتظاهر بها الملوك والرؤساء ، أو العظماء الكبراء – كما يسمِّيهم الناس –، وزالت مهابتهم من القلب ، حتى تراءوا له حيوانات حقيرة، أو صورًا ودمي هزيلة ، واستخفُّوا بمظاهر دولتهم وسطوتهم استخفاف العماليق بسخافات الأقزام ، واستخفاف الشيوخ الكبار ، بمهازل الأطفال الصغار .

وقد كان الصحابة – رضي الله عنهم – خير مثال

لذلك ، وقد روى المؤرخون الشيء الكثير ممَّا يدلُّ على استخفافهم بمظاهر القوة والعظمة ، ومشاهد الزينة والزخرفة ، منها ما رواه المؤرخ ابن كثير عن ربعي بن عامر ، قال : « أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولًا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم ، فدخل عليه وقد زيَّنوا مجلسه بالنمارق المذهَّبة ، والزرابي الحرير ، وأظهر اليواقيت والآلىء الثمينة ، والزينة العظيمة ، وعليه تاجه ، وغير ذلك من الأمتعة الثمينة ، وقد جلس على سرير من ذهب ، ودخل ربعي بثياب صفيقة ، وسيف وترس ، وفرس قصيرة ، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه ، وبيضة على رأسه ، فقالوا له : ضع سلاحك ، فقال : إني لم آتكم وإنما جئتكم حين دعوتموني ، فإن تركتموني هكذا ، وإلَّا رجعت ، فقال رستم : « ائذنوا له ، فأقبل يتوكَّأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها »[1].

---

(١) ومن أمثلة ذلك: ما وقع من الشيخ « حسن الطويل » العالم =

ولم تزل هذه العقيدة العميقة تصنع العجائب في جميع أدوار التاريخ الإسلامي ، وتنشىء في أصحابها القوة الخارقة للعادة ، فيواجهون الملوك والأمراء بما لا يواجه به كثير من الناس الفقراء والضعفاء ، وتتبخّر أمامهم أُبهة الملك وحشمة السلطنة ، فكأنها لا شيء ، ومن روائع قصص هذا الإيمان العميق ، والشجاعة الخلقية ، ما رواه الباجي أحد أصحاب شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام ، يقول : « طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة ، فشاهد العسكر مصطفّين بين يديه ومجلس المملكة ، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية ، وأخذت الأمراء

= الأزهري المشهور بتواضعه في ملبسه ومظهره ، حتى يكاد لا يفترق عن عامة الناس في شيء ، وقد دُعِي إلى مقابلة الخديو بقصر عابدين ، فذهب للمقابلة على سجيته المعتادة دون اعتناء بملبسه المتواضع ، وكأنه ذاهب لمقابلة رجل عادي ، فلما تقدم إليه كبار موظفي القصر يلفتون نظره في أدب إلى استبدال ملابسه ، صاح فيهم بشمم وشموخ وعزة وكبرياء العالم العامل : « والله لا أخلعها !! ألقى بها ربي كلَّ يوم ، ولا ألقى بها الخديو ؟! » .

تقبِّل الأرض بين يدي السلطان ، فالتفت الشيخ إلى السلطان ، وناداه بأيوب ! ما حجتك عند الله إذا قال لك : ألم أبوِّىء لك ملك مصر ، ثم تُبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا ؟ فقال : نعم ! الخانة الفلانية يباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، يناديه كذلك بأعلى صوته ، والعساكر واقفون ، فقال : يا سيدي ! هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبي ، فقال : أنت من الذين يقولون : إنا وجدنا آباءنا على أُمة ! فرسم السلطان بإبطال تلك الخانة ، وسألت الشيخ لما جاء من عند السلطان ، وقد شاع هذا الخبر ، يا سيدي ! كيف الحال ؟ فقال : يا بنيَّ ، رأيته في تلك العظمة ، فأردت أن أهينه ، لئلا تكبر عليه نفسه فتؤذيه ، فقلت : يا سيدي ! أما خفته ؟ فقال : والله يا بنيَّ استحضرت هيبة الله ، فصار السلطان قدَّامي كالقط .

ولم يزل تاريخ الدعوة والعزيمة ، وتاريخ الإيمان والعقيدة ، يعيد نفسه في كل عصر ومصر ، فقد روى المؤلف الهندي « الشيخ محمد بن مبارك الكرماني » قصة

مماثلة ، يقول :

« طلب السلطان محمد تغلق الشيخ قطب الدين المنور إلى دهلي ، يعاتبه أو يعاقبه ، على عدم حضوره لتحية الملك ، وقد مرَّ بجواره ، فلما حضر « البلاط » ودخل الديوان ، رأى الأمراء والوزراء والحكام ، ورجال البلاط واقفين سِماطَين ، متخشعين مسلحين ، في هيئة تنخلع منها القلوب ، وكان معه ولده نور الدين ، وكان حديث السنِّ لم يزر « بلاط » الملك في حياته ، ففزع لهذا المنظر الغريب ، وامتلأ رعبًا ، فناداه الشيخ قطب الدين بصوت عال قائلًا : يا ولدي ، العظمة لله ! يقول نور الدين : إني استشعرت في نفسي قوة غريبة بعد هذا النداء ، وزالت الهيبة من نفسي وذابت ، وبدا الجميع عندي ، كأنهم قطيع من ضأن أو معز) اهـ .

(... ويتدرج المصلِّي في الخضوع والانحناء ، فيفتتح الصلاة بالقيام ، فيثنِّي بالركوع ، ويثلّث بالسجود ، وهو شأن الخاضع الطبيعي ، ولا يَخرُّ ساجدًا من ركوع ، بل يقف وقفة قصيرة خفيفة ، ثم ينحني للسجود ، ليكون أبلغ

في الخشوع وأوقع في النفس ، وأدلّ على الذلّ .

وكذلك يتدرَّج في التعظيم والتمجيد ، فيقول في ركوعه : « سبحان ربي العظيم » ، ويقول في سجوده : « سبحان ربي الأعلى » ، فإذا بلغ الغاية في الخضوع والتذلُّل ، ونصب أشرف أعضائه على أذلّ شيء في الوجود ، الأرض التي هي موطئُ الأقدام ، ومضربُ المثَل في الذِّلة والهوان ، هتف بأعظم كلمة يُعلن بها عظمة الله وعلوَّه ، فيقول : « سبحان ربي الأعلى » وهنا تتفق روعة الهيئة والمكان ، مع روعة البيان والإعلان ، ويفصل بين السجدتين بجلسة خفيفة ، لتكون السجدة مستأنفة مجدَّدة ، ولتنتبه النفس من غفوتها ، وتشعر بلذة جديدة .

السجدة الخاشعة الحنون ، التي يضطرب لها الكون :

وإذا سجد ، فكَّ سلاسل التقليد ، السلاسل التي فرضها عليه المجتمع والأعراف ، والعادات والآداب ، فخرَّ ساجدًا لله تعالى يمرِّغ وجهه ، ويعفِّر جبينَه ، وأعطى القلب زمامه ، وأرسل النفس على سجيَّتها ، فلا حجر على الخشوع ، ولا ملامة على الدموع ، وقد غلى مرجل

الصدر ، وفاضت كأس القلب ، ولذلك يقول الصحابة – رضي الله تعالى عنهم –: « **ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء** » ، وحكى عمرو بن العاص صلاة رسول الله ﷺ في الكسوف فقال : « **ثم نفخ في آخر سجوده، فقال: أُفٍّ أُفٍّ ، ثم قال : ربِّ ألم تعدني أن لا تعذِّبهم وأنا فيهم ، ألم تعدني أن لا تعذِّبهم وهم يستغفرون** » وفي رواية : (**حين ينفخ يبكي**) .

والسجود أقرب هيئآت المصلي وأحبها إلى الله ، وقد ورد في الحديث الصحيح : « **أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** » فينتهز المصلي هذه الفرصة الثمينة ، وينثر كنانة القلب ، ويُفرغ جعبة الدعاء والعبودية ، فيقول بلسان المقال أو بلسان الحال : « أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذلَّ لك جسمه ، ورغم لك أنفه » .

وهذه هي السجدة التي ترتعش لها الجبال الراسيات ، وتهتز بها الأرض ، ويرتعد لها الجبابرة الطغاة ، ولها في تاريخ

الأمة ومغامراتها ومحنها شؤون ، وأخبار غريبة .

تناقض الصلاة « الحقيقية » مع عبادة غير الله ، وعبودية الإنسان ، والحياة الجاهلية :

ومثل هذه الصلاة الخاشعة المخلصة ، التي يحافظ عليها المسلم بروحها وحقيقتها ، وآدابها وأوقاتها ، لا تتفق ولا تنسجم مع عبادة غير الله – ومن مظاهرها : الشرك ، والوثنية ، والخرافة – وعبودية غير الله – ومن مظاهرها : رهبة الحكام والأمراء ، وأصحاب القوة والثروة ، والأمر والنهي – واعتقاد النفع والضرر فيهم ، والتزلف إليهم بكل وسيلة ، وتملقهم ، ومسايرتهم في جورهم وعدوانهم ، والمناداة على العقيدة والضمير ، كما شاهدنا في عصر الملوكية الأول ، وكما نشاهد كل يوم في عصر الحرية ، « والديمقراطية » الحاضر .

فجميع أركان الصلاة ، وجميع ما يقوله المصلي فيها ، ويقطعه على نفسه ويعلنه ينافي ذلك أشد المنافاة ، ويعارضه أشد المعارضة ، وهو يعارض الكلمة التي يفتتح بها صلاته ، وهو قوله : « الله أكبر » ، ويعارض قوله : « **الحمد لله رب**

العالمين » فلا رب غيره ولا حمد لغيره ، وهو يعارض قوله : « **إياك نعبد وإياك نستعين** » فلا عبادة لغيره ولا استعانة بغيره ، وهو ينافي الركوع والسجود ، « فلا ركوع جسديًّا ومعنويًّا » « ولا سجود ظاهرًا وباطنًا » إلَّا لله تعالى ، لذلك كان الذين تحققت فيهم هذه الصلاة ، من أشجع النَّاس أمام الملوك والأمراء ، وأجرئهم على الجهر بكلمة الحق ، وأزهدهم في حطام الدنيا ، وأبعدهم عن التعاون على الإثم والعدوان(*).

(*) ومن أمثلته الرائعة المستطرفة التي ليس عصرها بعيدًا ، أن شيخًا ممن صحب السيد الإمام أحمد بن عرفان (١٢٤٦هـ) إمام دعوة التوحيد والجهاد ، ومؤسس الحكومة الشرعية في القرن الماضي في الهند ، قصد مرة طبيبًا مسلمًا في بلده ، وكان الشيخ ، قد علت سنه وأنهكه المرض ، وكان المحل بعيدًا ، فما وصل إلى الطبيب إلا وقد بلغ الجهد ، وأعياه المشي على الأقدام ، وبقي ينتظر خروج الطبيب برهة طويلة ، فلما خرج الطبيب بعد انتظار شاق ، أقبل على عبادة مبتدعة ، فيها تعظيم لغير الله ، فما كاد يقع نظر الشيخ عليه ، إلا أمر تلميذه بالانصراف ، وخرج من ساعته ، فلما كان في الطريق ، قال له ، ما رأيت كاليوم ! أجهدت نفسك في الوصول إلى الطبيب ، وأطلت الانتظار . =

(٢٤) الصلاةُ ناهيةٌ عن المنكرات ، وعاصمةٌ من الشهوات

قال الله تعالى : ﴿ **وأقم الصلاة**(*) **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، فالصلاة الخاشعة التامة تنهى

= فلما خرج ، بادرت إلى الانصراف و لم تقض حاجتك منه؟ فقال له : ويحك ألم تره ، يعصي الله ويشرك به ؟ فقال : ما لنا ولعمله ، عليه ضلالته وسخافته ، ولنا صناعته وبراعته ، فقال : عجبًا لأمرك ! إذا سكتُّ على ذلك ، واستعنت به، فكيف أقوم في الليلة أمام ربي ، وبأي لسان أقول في قنوت الوتر : « **ونخلع ، ونترك من يفجرك** » .

(*) الإقامة من « أقام العود » إذا قَوَّمه ، والصلاة : الدعاء ، سميت به لاشتمالها على الدعاء ، وقد ذكر الله – عز وجل – كثيرًا من الأفعال التي حث على توفية حقها بلفظ الإقامة ، كقوله تعالى : ﴿ **ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ **وأقيموا الوزن بالقسط** ﴾ تنبيهًا على المحافظة على تعديله .

وإقامة الصلاة : توفية حدودها ، وإدامتها . وتخصيصها بلفظ : « الإقامة » تنبيهٌ على أنه لم يُردْ إيقاعها فقط ، ولهذا لم يأمر بالصلاة ، ولم يمدح بها إلا بلفظ الإقامة كقوله تعالى : ﴿ **أقم الصلاة** ﴾ ، وقوله : ﴿ **الذين يقيمون الصلاة** ﴾ ، =

صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، وتقوده إلى الخير والمعروف ، لذلك ترى أهل هذه الصلاة أكثر الناس استقامة ، وما يكون بهم من العيوب فعند سواهم منها أضعافها .

وإذا صلحت الصلاة ، صلح سائر عمل المرء ، قال رسول الله ﷺ : « **أول ما يُحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن صلَحت ، صلَح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله** » . [صحيح]

= وقوله : ﴿ **والمقيمين الصلاة** ﴾ ، فإقامة الصلاة هو الإتيان بها إتيانًا كاملًا يتحقق المقصود بها ، وهو التوجه الكلي إلى الله ، والخشوع فيها ، والإقبال عليها بجمعيته ، والامتناع بها عن الفحشاء والمنكر ، ولم يقل « المصلي » إلا في المنافقين : ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ وهذا تنبيه على أن المصلين كثير ، والمقيمين لها قليل ، كما قال عمر - رضي الله عنه -: « الحاج قليل ، والركب كثير » ، أما قوله تعالى : ﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إلا المصلين** ﴾ فإنه لم يُذكر مفردًا عن معاني « الإقامة » بل وصفهم بقوله : ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿ **والذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾ ، والله تعالى أعلم .

والصلاة الخاشعة تُطيِّب القلب وتطهره وتزكيه ، قال ﷺ : « **ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلَحت صلح الجسدُ كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » . [متفق عليه]

ولما قيل للنبي ﷺ : إن فلانًا يصلي الليل كلَّه ، فإذا أصبح سرق ! ، قال ﷺ : « **سينهاه ما تقول** » أو قال : « **ستمنعه صلاته** » . [صحيح]

وقال الحسن البصري : « الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر ، لم تزد صاحبها إلا بعدًا » .

ورأى قومُ شعيبٍ عليه السلام أنه لم يكن يعظم شيئًا من الأعمال تعظيم الصلاة ، وكان كثير الصلاة فرضها ونفلها ، ويقول : « الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » فلما أمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، ﴿ **قالوا يا شعيب : أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « **عليكم بقيام الليل ، فإنه**

دَأبُ الصالحين قبلكم ، وقُربة إلى الله تعالى ، ومَنْهَاةٌ عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومَطْرَدةٌ للداءِ عن الجسد » .

[صحيح]

(٢٥) الصلاة كفارةٌ للسيئات ، وماحيةٌ للخطيئات

عن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال : (أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، مَن أحسن وضوءَهن ، وصلاهنَّ لوقتهن ، وأتم ركوعهنَّ وسجودهنَّ وخشوعهنَّ ، كان له على الله عهدٌ أن يغفر له ، ومن لم يفعل ، فليس له على الله عهدٌ ، إن شاء غفر له ، وإن شاء عذَّبه** ») . [صحيح]

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أنه سمع النبي ﷺ يقول : « **الصلوات الخمس كفارة لما بينها** » ، ثم قال رسول الله ﷺ : « **أرأيت لو أن رجلًا كان يعتمل ، وكان بين منزله وبين مُعْتَمَلِهِ خمسة أنهار ، فإذا أتى معتمله عمل فيه ما شاء الله ، فأصابه**

الوسخ أو العرق ، فكلما مرَّ بنهر اغتسل ، ما كان ذلك يُبْقي من درنِهِ ؟ فكذلك الصلاة ، كلما عمل خطيئة فدعا واستغفر ، غُفر له ما كان قبلها » .

وعن أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبيَّ ﷺ خرج في الشتاء والورق يتهافَتُ ، فأخذ بغصنٍ من شجرة ، قال : فجعل ذلك الورق يتهافت ، فقال : « **يا أبا ذر** » ، قلت : « لبيك يا رسول الله ! » قال : « **إن العبد المسلم ليصلي الصلاة ، يريد بها وَجْهَ الله ، فتهافتُ عنه ذنوبه ، كما يتهافت هذا الورق عن هذه الشجرة** » . [حسن]

ورُوي عن أبي عثمان قال : كنت مع سلمان - رضي الله عنه - تحت شجرة ، فأخذ غصنًا منها يابسًا فهزَّه ، حتى تحاتَّ ورقُه ، ثم قال : « يا أبا عثمان ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ » ، قلت : « ولم تفعله ؟ » قال : هكذا فعل بي رسول الله ﷺ وأنا معه تحت الشجرة ، فأخذ منها غُصنًا يابسًا فهزَّه ، حتى تحاتَّ ورقه ، فقال : « **يا سلمانُ ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟** » قلت : « ولِمَ تفعله ؟ » قال : « **إن المسلم إذا توضَّأ فأحسن ، ثم صلى**

الصلوات الخمس ، تحاتت خطاياه كما تحاتّ هذا الورق » .

وقال : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يُذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[1] ، وعن طارق بن شهاب : أنه بات عند سلمان الفارسي – رضي الله عنه – لينظر ما اجتهاده ؟ قال : فقام يُصلي من آخر الليل ، فكأنه لم ير الذي كان يظن ، فذكر ذلك له ، فقال سلمان : « حافظوا على هذه الصلوات الخمس ، فإنهن كفارات لهذه الجراحات ما لم تُصِبِ المَقْتَلَةَ »[2] .

[حسن]

---

(١) وسبب نزول هذه الآية : ما رواه البخاري بسنده إلى ابن مسعود – رضي الله عنه –: (أن رجلًا أصاب من امرأة قبلة ، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له ، فأنزلت عليه : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزُلَفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ قال الرجل : « ألي هذه ؟ » ، قال : « **لمن عمل بها من أمتي** ») .

(٢) المقتلة : أو المقتل جمعها مَقَاتل ، وهي المواضع التي إذا أصيبت من الإنسان قتلته .

وعن أبي أيوب – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من توضَّأ كما أُمِرَ ، وصلى كما أُمِر**[1]**، غُفِر له ما قدَّم من عمل** » وفي رواية : « **غُفِر له ما تقدم من ذنبه** » .
[حسن]

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **يُبعث منادٍ عند حضرة كل صلاة ، فيقول : يا بني آدم ! قوموا فأطفئوا عنكم ما أوقدتم على أنفسكم ، فيقومون ، فتسقط خطاياهم من أعينهم ، ويصلون ، فيُغفر لهم ما بينهما ، ثم توقدون فيما بين ذلك ، فإذا كان عند الصلاة الأولى نادى : يا بني آدم ! قوموا فأطفئوا ما أوقدتم على أنفسكم ، فيقومون فيتطهرون ، ويُصلون الظهر ، فيغفر لهم ما بينهما ، فإذا حضرت العصر ، فمثلُ ذلك ، فإذا حضرت المغربُ ، فمثل ذلك ، فإذا حضرت العتَمَةُ فمثل ذلك ، فينامون**

(١) وفي هذا إشارة إلى أهمية اتباع هدى النبي ﷺ في الوضوء والصلاة ، تأكيدًا لقوله ﷺ : « **صلوا كما رأيتموني أصلي** » رواه البخاري .

وقد غُفِر لهم ، فَمُدْلِجٌ في خير ، ومدلج في شر » .

[حسن]

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد إذا قام يصلي ، أُتِيَ بذنوبه كُلِّها ، فوضِعَتْ على رأسه وعاتقيه ، فكلما ركع أو سجد ، تساقطت عنه** » . [صحيح]

وعن أبي أيوب – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **إن كل صلاة تَحُطُّ ما بين يديها من خطيئة** » .

[حسن]

وإذا واقع العبد معصية ، فقام وتطهر ، وصلَّى لله عز وجل ، واستغفره غفر الله له ، فعن أبي بكر – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « **ما من رجل يُذنب ذنبًا ، ثم يقوم فيتطهر ، ثم يصلي ، ثم يستغفر الله ، إلا غفر الله له** » ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوبَ إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ . [صحيح]

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من توضَّأ فأحسن الوضوء ، ثمَّ قام فصلَّى ركعتين ، أو أربعًا – يَشُكُّ سهلٌ – يُحسن فيهنَّ الذِّكرَ والخشوع ، ثم استغفر الله ، غُفِر له** » . [حسن]

وفي حديث عمرو بن عَبَسَةَ – رضي الله عنه –: « ... **فإنْ هو قام فصلى ، فحمِد الله ، وأثنى عليه ، ومجَّده بالذي هو له أهلٌ ، وفرَّغ قلبه لله تعالى ، إلَّا انصرف من خطيئته كهيئة يومَ ولدته أمُّه** » . [رواه مسلم]

(٢٦) الصلاة ملجأُ المؤمن في الكُرُبات

(إن في الصلاة استجابةً لغريزة البشر النوعية ، غريزة الافتقار والضعف والطلب ، غريزة الالتجاء والاعتصام، والدعاء والمناجاة ، والاطِّراح على عتبة القويِّ الغني ، الجواد الكريم ، الرؤوف الرحيم ، اللطيف الودود ، المعطي المانع ، السميع المجيب .

وكانت الصلاة أقرب إلى المؤمن وأكثر إيواءً ، وأسرع

نجدة وإسعافًا ، وأسخى وأحنى وأعطف عليه من حجر الأم الرؤوم الحنون ، على الطفل الشريد ، اليتيم الضائع ، الضعيف العاجز ، كلما عُوكس أو هُدِّد ، وكلما أصابه الروع أو الفزع ، أو مسَّه الجوع أو العطش ، أوى إلى أمه فرمى نفسه في أحضانها ، أو تشبث بأذيالها .

كذلك الصلاة معقل المسلم وملجؤه ، الذي يأوي إليه ، والعروة الوثقى التي يعتصم بها ، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذي يتعلق به ، وهي غذاء الروح ، وبلسم الجروح ، ودواء النفوس ، وإغاثة الملهوف ، وأمان الخائف ، وقوة الضعيف ، وسلاح الأعزل)[1] .

وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون** ﴾ .

قال ابن كثير – رحمه الله –: (استعينوا على طلب

---

(١) « الأركان الأربعة » للندوي ص (٢٩ – ٣٠) بتصرف .

الآخرة بالصبر على الفرائض والصلاة) ، وقال أيضًا : (إن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر) اهـ .

وقال -جل وعلا مخاطبًا خليله محمدًا ﷺ : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين**[1] * **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ . فأمره ﷺ بأن يفزع إلى الصلاة والذكر إذا ضاق صدره بما يقوله أعداء الدين ، فإن في ذلك شرحًا للصدر ، وتفريجًا للكربة ، وهكذا كان هديه ﷺ ، فقد كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، قال حذيفة - رضي الله عنه -: (رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب ، وهو مشتمل في شملة يصلي ، وكان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمْرٌ صَلَّى) . [حسن]

وروى أمير المؤمنين عليٌّ - رضي الله عنه -: (لقد رأيتنا ليلة بدر ، وما فينا إنسان إلا نائم ، إلا رسول الله ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ، ويدعو حتى أصبح) .

ويُروى أن ثابتًا قال : (كان النبي ﷺ إذا أصابته

---

(١) أي: من المصلين، فعبر سبحانه عن الصلاة بجزئها وهو السجود .

خصاصة نادى بأهله : « **صلوا ، صلوا** ») ، قال ثابت : « وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة » .

ورُوي عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : (كان النبي ﷺ إذا كان ليلة ريح شديدة ، كان مَفْزَعُه إلى المسجد حتى تسكن الريح ، وإذا حدث في السماء حدث من خسوف شمس أو قمر كان مفزعه إلى الصلاة حتى ينجلي) .

وهكذا كان شأن الصحابة الأبرار – رضي الله عنهم –، فقد رُوِي عن النضر أنه قال : (كانت ظلمة على عهد أنس ، فأتيته ، فقلت : « يا أبا حمزة ! هل كان هذا يصيبكم على عهد رسول الله ﷺ ؟ » فقال : « مَعاذ الله ! إن كانت الريح لتشتد فنبادر إلى المسجد مخافة أن تكون القيامة ») .

هكذا (كان شأن الصحابة – رضي الله عنهم – والتابعين لهم بإحسان في كل جيل مع الصلاة شأنَ الجندي مع سيفه ، وشأن الغني مع ثروته ، وشأن الطفل الصغير مع بكائه وصراخه ، واستعطافه للأم الحنون ، بل كانوا أكثر

إدلالًا وثقة بصَلاتهم ، وأقوى اعتمادًا عليها من كل ذلك ، وأصبح ذلك طبيعة لهم لا تفارقهم ، فإذا أُفزعوا أو أثيروا ، وإذا دهمهم عدوٌّ ، أو تأخَّر عليهم فتح ، أو التبس عليهم أمر ، التجأوا إلى الصلاة ، وفزعوا إليها .

وقد كان على هذه السيرة أئمة الإسلام ، وأعلام هذه الأمة ، وقادة المسلمين في كل عصر ، وقد حُكي عنَ شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنه كان إذا أُشْكِلَت عليه آية ، أو التوى عليه علم ، عمد إلى بعض المساجد المهجورة ، فقام يصلي ، فيعفر وجهه بالتراب ، ويطيل السجود ، ويقول : « يا معلِّم إبراهيم علِّمني » ، وكان شديد الابتهال ، عظيم التذلل لله تعالى ، يفتخر بأنه سائل ستَجْدٍ ، عريقٌ في « الشحاذة » ورثها أبًا عن جدٍّ ، قد سُمع ينشد في بعض مناجاته ودعواته :

أنا المُكَدِّي وابنُ المكدِّي وهكذا كان أبي وجَدِّي)[1]

وليست الصلاة مقصورة على فريضة تؤدى في وقتها ، ويتخلَّى بها المسلم عما أوجبه الله عليه من فرض ، فذلك

---

(١) « الأركان الأربعة » ص (٨٠) .

فرض لا يقبل الله عنه صرفًا ولا عدلًا ، ولكنها جُنة المسلم وسلاحه ، والمفتاح الدائم الذي يُفتح به كل قُفْل ، ويُكشف به كل هم وغم .

ففي الخوف صلاة ، وللاستسقاء صلاة إذا انقطع المطر ، وهلكت البهائم، وانقطعت السبل ، وللتوبة صلاة : فعن أبي بكر – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **ما من عبد يُذنب ذنبًا فيتوضأ ، فيُحسِن الطُّهور ، ثم يقوم فيصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب ، إلا غَفَر الله له** » . [صحيح]

وللخسوف والكسوف صلاة : قال ﷺ : « **إنَّ الشمس والقمر لا ينكسِفانِ لموت أحدٍ ولا لحياته ، ولكنهما آيات من آيات الله ، يُخوِّف الله بهما عباده ، فإذا رأيتم ذلك ، فصلُّوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم** » . [متفق عليه]

وفي رواية : « **فادعوا الله وكبِّروا وصلُّوا وتصدقوا** » وإذا أراد العبد أن تُقضى له حاجة ، أو تُفرَّج عنه كربة فبإمكانه أن يُقدِّم بين يدي دعائه صلاة ركعتين ، باعتبار

أن تقديم عمل صالح بين يدي الدعاء من آدابه ، وعن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه– (أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال : « ادعُ الله لي أن يعافيني » ، فقال : « **إن شئتَ أخرت لك وهو خير ، وإن شئت دعوت** » ، فقال : « ادعه » ، فأمره أن يتوضأ ، فيحسن وضوءه ، ويصلي ركعتين ، ويدعو) الحديث . [صحيح]

والمداومة على تعمير بيوت الله بالصلاة والذكر من أسباب قضاء الحاجات :

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : « إن للمساجد أوتادًا ، هم أوتادها ، لهم جلساء من الملائكة ، فإن غابوا سألوا عنهم ، وإن كانوا مرضى عادوهم ، وإن كانوا في حاجة أعانوهم » . [صحيح]

(٢٧) الصلاة حفظ وحماية

قال الله تعالى : ﴿ **حافظوا[1] على الصلواتِ والصلاة الوسطى** ﴾ .

---

(١) اعلم أن الأمر بالمحافظة على الصلاة أمر بالمحافظة على جميع شرائطها،=

والمحافظة لا تكون إلا بين اثنين كالمخاصمة والمقاتلة ، وقد أوثر هذا اللفظ هنا :

– لأن هذه المحافظة تكون بين العبد والرب ، كأنه قيل له : « احفظ الصلاة ليحفظك الإله الذي أمرك بالصلاة » ، كقوله تعالى : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ ، وقوله جل وعلا : ﴿ **وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم** ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ ، فإن الجزاء من جنس العمل .

– أو : لأن المحافظة تكون بين المصلي والصلاة ، فكأنه قيل : « احفظ الصلاة حتى تحفظك الصلاة » ، وحِفظ الصلاة للمصلي على أوجهٍ : منها : حفظه عن المعاصي لقوله تعالى : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ فمن

= وهي طهارة البدن والثوب والمكان ، والمحافظة على ستر العورة ، واستقبال القبلة ، والمحافظة على جميع أركان الصلاة ، والمحافظة على الاحتراز عن جميع مبطلات الصلاة سواء كان ذلك من أعمال القلوب وفي مقدمتها النية أو من أعمال اللسان أو من أعمال الجوارح ، فمن أدى الصلاة على هذا الوجه كان محافظًا على الصلاة ، وإلا فلا .

حفظ الصلاة حفظته الصلاة عن الفحشاء .

ومنها : حفظه من البلايا والمحن ، قال تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ ، ومنها : حفظه من عذاب القبر ، وعذاب النار يوم القيامة[1].

والمصلِّي في حماية الله وحراسته ، قال ﷺ : « **من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء ، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ، ثم يَكُبُّه على وجهه في نار جهنم** » . [رواه مسلم]

فمن لم يفعل فقد عرَّض نفسه للخطر الذي توعَّده الله به ، وهو أن يخلع عنه رداء عونه وتأييده ، بحيث لا يبقى له أي ملاذ ولا ملجأ .. وسيجد نفسه يواجه الشيطان بمفرده بعد أن خذله الله .

قال بعض الصالحين : « والله ما عدا عليك العدو إلا بعد أن تخلَّى عنك المولى ، فلا تظنن أن العدو غلب ، ولكن الحافظ أعرض » ، وقال ﷺ : ﴿ **من صلى الصبح**

(١) انظر : « التفسير الكبير » للرازيِّ (٢/٢٧٤) .

في جماعة فهو في ذمة الله ، فمن أخفر[1] ذمة الله كبَّه الله في النار لوجهه » . [حسن]

وقال ﷺ : « **من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشيء** » ، وفيه وعيد لمن آذى المؤمن الذي يصلي الفجر ، لأنه انتهك حرمة من هو في جوار الله وحمايته[2]، وقد قال تعالى في الحديث القدسي : « **من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب** » .

[البخاري]

---

(١) أخفرت الرجل : نقضت عهده وذمامه ، والهمزة فيه للإزالة ، أي : أزلت خفارته ، أي عهده وذمامه ، والله أعلم .

(٢) رُوي أن الحجاج أمر سالم بن عبد الله بقتل رجل ، فقال له سالم : « أصليتَ الصبح ؟ » فقال الرجل : « نعم » ، قال : « فانطلِق » ، فقال له الحجاج : « ما منعك من قتله ؟ » فقال سالم : (حدثني أبي أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « **من صلى الصبح كان في جوار الله يومَه** » ، فكرهت أن أقتل رجلًا قد أجاره الله) .

فقال الحجاج لابن عمر : « أنت سمعت هذا من رسول الله ؟ » ، فقال ابن عمر : « نعم » ، انظر : « صحيح الترغيب والترهيب » (١٨٦/١ - ١٨٧) .

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال رسول الله ﷺ :

« ست مجالس ، المؤمن ضامن على الله تعالى ما كان في شيء منها : في مسجد جماعة ، وعند مريض ، أو في جنازة ، أو في بيته ، أو عند إمام مُقسطٍ يُعَزِّره ، ويُوقِّره ، أو في مشهد جهاد » . [حسن]

وقال ﷺ : **« ثلاثة كلهم ضامن[1] على الله : إن عاش رُزق وكُفي ، وإن مات أدخله الله الجنة »** الحديث ، وفيه : **« ومن خرج إلى المسجد ، فهو ضامن على الله »** .

[صحيح]

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : **« إذا خرجت[2] من منزلك ، فصل ركعتين[3]**

---

(١) انظر ص (١٠٠) .

(٢) معناه : إذا أردت الخروج ، مثل قوله تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله** ﴾ الآية، يعني: إذا أردت قراءة القرآن، ونظائره .

(٣) خفيفتين ندبًا ، والتعبير بالفاء في الموضعين ليدل أن السنة : الفورية بذلك ، أي بحيث ينسب الصلاة إلى الخروج عرفًا ، فتفوت بطول الفصل بلا عذر .

تمنعانِك مخرج السوء[1]، **وإذا دخلت إلى منزلك ، فصل ركعتين تمنعانِك مدخل السوء** » . [حسن]

وقال ﷺ : (**إن الله يقول** : « **يا ابن آدم ! اكفني أول النهار أربع ركعات ، أكفك بهن آخر يومك** »)

[صحيح]

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : (كنت خلف النبي ﷺ فقال : « **يا غلامُ إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك** » – وفي رواية : « **أمامك** »– « **تعرف إلى الله في الرخاء ، يعرفك في الشدة** » الحديث . [صحيح]

ومعنى قوله : « **احفظ الله** » احفظ حدوده ، وحقوقه ، وأوامره بالامتثال ، ونواهيه بالاجتناب ، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه ، وقال عز وجل : ﴿ **هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ** ﴾ فُسِّر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله ، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها .

---

(١) مخرج السوء : ما عساه خارج البيت من السوء .

ومن أعظم ما يجب حفظه من أوامر الله الصلاة ، وقد أمر الله بالمحافظة عليها ، فقال : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** ﴾ ، ومدح المحافظين عليها بقوله : ﴿ **والذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾ ، وقال النبي ﷺ : « **من حافظ عليها كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة** » . [صحيح]

وفي حديث آخر : « **من حافظ عليهنَّ كُنَّ له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة** » . [صحيح]

وقال ﷺ في مفتاح الصلاة ، وهو الطهارة : « **لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن** » . [صحيح]

وقال ﷺ : « **يَحْفَظْكَ** » يعني : أن من حفظ حدود الله ، وراعى حقوقه ، حفظه الله ، فإن الجزاء من جنس العمل ، كما قال تعالى : ﴿ **وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم** ﴾ ، وقال : ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ ، وقال : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم** ﴾ .

وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان :

أحدهما : حفظه له في مصالح دنياه ، كحفظه في بدنه ،

وولده ، وأهله ، وماله ، قال الله عز وجل : ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ ، قال ابن عباس : « هم الملائكة يحفظونه بأمر الله ، فإذا جاء القَدرُ خَلَّوْا عنه » .

وكان ﷺ يدعو حين يمسي وحين يصبح : « **اللهم احفظني من بين يديَّ ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي** » ، ومن حفظ الله في صباه وقوته ، حفظه الله في حال كِبَره وضعف قوته ، ومتَّعه بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله .

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته ، كما قيل في قوله تعالى : ﴿ **وكان أبوهما صالحًا** ﴾ : « إنهما حُفِظًا بصلاح أبيهما » ، قال سعيد بن المسيِّب لابنه : « لأزيدنَّ في صلاتي من أجلك ، رجاءَ أن أُحفَظَ فيك » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وكان أبوهما صالحًا** ﴾ ، وقال عمر بن العزيز – رحمه الله –: « ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله تعالى في عقبه ، وعقب عقبه » ، وقال ابن المنكدر : « إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولدَه ، وولدَ

ولدِه ، والدُّوَيرات التي حوله ، فما يزالون في حفظٍ من الله وسِتر » .

ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيواناتِ المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى ، كما جرى لسفينة مولى رسول الله ﷺ (حيث كُسر به المركب ، وخرج إلى جزيرة ، فرأى الأسد ، فجعل يمشي معه حتى دلَّه على الطريق ، فلما أوقفه عليها ، جعل يهمهم كأنه يودِّعه ، ثم رجع عنه) [حسن] رواه الطبراني ، والحاكم ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

أما من ضيع أمر الله ، فإن الله يُضَيِّعُه حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه .

قال الفضيل – رحمه الله – : « إني لأعصي الله ، فأعرف ذلك في خلق خادمي ودابتي » .

النوع الثاني من الحفظ – وهو أشرف النوعين –: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه ، فيحفظه في حياته من الشبهات المُضِلَّة ، ومن الشهوات المحرَّمة ، ويحفظ عليه دينه عند موته ، فيتوفَّاه على الإيمان ، كان ﷺ يقول عند

نومـه : « **إن أمسكـت نفسـي فارحمهـا ، وإن أرسلتهـا فاحفظها ، بما تحفظ به عبادك الصالحين** » . [متفق عليه]

وعلَّم عمرَ أن يدعُوَ الله : («**اللهم احفظني بالإسلام قائمًـا ، واحفظنـي بالإسلام قاعدًا ، واحفظني بالإسـلام راقدًا ، ولا تُشمِت بيَ عدوًّا حاسدًا** ») [حسن] ، وكان ﷺ إذا ودَّع من أراد سفرًا قال : « **أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك** »[حسن] ، وكان يقول : « **إن الله إذا استُودِعَ شيئًا حفظه** » [صحيح]

وقوله ﷺ : « **احفظ الله تجده تجاهك** » وفي رواية : « **أمامك** » معناه أن من حفظ حدود الله ، وراعى حقوقه ، وجد الله معه في كل أحواله حيث توجَّه يَحُوطُه، وينصره، ويحفظه، ويوفقه، ويسدده، فـ ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ ، قال قتادة : « من يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه ، فمعه الفئة التي لا تُغلب ، والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل »[1].

---

(١) انظر : « جامع العلوم والحكم » ص (٤٦٥ – ٤٧١) ط . مؤسسة الرسالة .

(٢٨) الصلاة مجلبة للرزق

أوجب الله عز وجل الصلوات الخمس على المؤمنين ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا** ﴾ ، ومن رحمته بعباده أنه خففها من خمسين صلاة في اليوم والليلة إلى خمس صلوات ، كما أمرنا بالمداومة على إقامتها في أوقاتها ، وليس المراد استغراق الليل والنهار بها ، لكنْ أداؤها في أوقاتها ، كي يستطيع الإنسان أداء الواجبات الأُخرى ، وتحصيل معاشه ، ونحو ذلك ، قال ﷺ : « .. **إن لجسدك عليك حقًّا ، ولربك عليك حقًّا ، ولضيفك عليك حقًّا ، ولأهلك عليك حقًّا ، صم ، وأفطر ، وصل ، وأْت أهلك ، وأَعط كلَّ ذي حق حقه** » . [رواه البخاري]

ولما كان الاشتغال بالصلاة يقطع الانسانَ مؤقتًا عن عمل الدنيا ، ولما كان بعض الناس قد يُفتنون بالدنيا واللهث وراء تحصيل المال ولو على حساب إقامة الصلاة ، فمن ثم بيَّن الله تبارك وتعالى :

● أن ترك اكتساب الرزق من أجل أداء الصلاة المفروضة فرض ، فقد قال تبارك وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين**

ءَامنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوْا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ ، وبعد أداء حق الله تعالى أمروا أمر إباحة أن ينتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجهم ما داموا قد فرغوا من الصلاة ، فقال تعالى : ﴿ **فإذا قُضِيتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون** ﴾ .

ثم وبَّخ الذين ألهتهم التجارة وانصرفوا لها عن الصلاة فقال : ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين** ﴾ .

● وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾ .

قال جماعة من المفسرين : المراد بذكر الله هنا الصلوات الخمس ، فمن اشتغل عن الصلاة بماله كبيعه أو صنعته أو ولده كان من الخاسرين .

● وقال تعالى : ﴿ **في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة** ﴾ الآية .

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال :

ضرب الله هذا المثل قوله : ﴿ **مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح في زجاجة** ﴾ لأولئك القوم ﴿ **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ ، وكانوا أتجر الناس وأبيعهم ، ولكن لم تكن تلههم تجارتهم ، ولا بيعهم عن ذكر الله .

عن ابن مسعود – رضي الله عنه – : أن ناسًا من أهل السوق سمعوا الأذان ، فتركوا أمتعتهم وقاموا إلى الصلاة ، فقال : هؤلاء الذين قال الله عز وجل : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** ﴾ .

عن إبراهيم قال : (هم قوم من القبائل والأسواق إذا حانت الصلاة ، لم يشغلهم شيء) ، وقال سفيان الثوري : (كانوا يشترون ، ويبيعون ، ولا يَدَعون الصلوات المكتوبات في جماعة) .

وتأمل كيف ربط الله سبحانه وتعالى بين تركهم

الارتزاق لأجل الصلاة في قوله تعالى : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة** .. ﴾ الآية ، وبين قوله بعدها : ﴿ **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ ، فالأرزاق بيد الله عز وجل ، يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء ، لا معطي لما منع ، ولا مانع لما أعطى ، وإن العبد لَيُحرم الرزق بالذنب يصيبه ، وأي ذنب أعظم من الاستهانة بحقوق الله عز وجل ؟!

● كان عروة بن الزبير - رضي الله عنه - إذا دخل على أهل الدنيا ، فرأى من دنياهم طرفًا ، فإذا رجع إلى أهله ، فدخل الدار ، قرأ : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجًا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** ﴾ ثم يقول : « الصلاة ، الصلاة ، رحمكم الله » .

يعني امتثالًا لقوله تعالى في الآية التالية مباشرة : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **لا نسألك رزقًا نحن نرزقك** ﴾ فيه دفع لما عسى أن يخطر ببال أحدٍ من أن المداومة على الصلاة

ربما تضر بأمر المعاش ، فكأنه قيل : داوموا على الصلاة غير مشتغلين بأمر المعاش عنها ، إذ لا نكلفكم رزق أنفسكم ، إذ نحن نرزقكم ، وتقديم المسند إليه للاختصاص أو لإفادة التقوى ، وقد قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ .

ويُستشعر من الآية أن الصلاة مطلقًا تكون سببًا لإدرار الرزق ، وكشف الهم ، ويُروى عن عبد الله بن سلام أنه قال : « كان النبي ﷺ إذا نزلت بأهله شدة أو ضيق أمرهم بالصلاة ، وتلا : ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة** ﴾ » ، وأخرج أحمد في « الزهد » وغيره عن ثابت قال : (كان النبي ﷺ إذا أصابت أهلَه خَصاصة نادى أهله بالصلاة : « **صلوا ، صلوا** » ، قال ثابت : « وكانت الأنبياء عليهم السلام إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ») .

● عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة كلهم ضامن[1] على الله ، إن عاش رُزِق**

(١) ضامن : أي مضمون على « عيشة رضية » أي مرضية ، أو =

وكُفِي ، وإن مات أدخله الله الجنة : من دخل بيته فسلَّم ، فهو ضامنٌ على الله ، ومن خرج إلى المسجد ، فهو ضامن على الله ، ومن خرج في سبيل الله ، فهو ضامن على الله » . [صحيح]

● وبيَّن جل وعلا أن المال خادم وأن الدِّين مخدوم ، فقد قال رسول الله ﷺ : « **إن الله قال : إنَّا أَنْزَلْنا المَالَ لإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ولو كان لابن آدم وادٍ ، لأحبَّ أن يكون له ثانٍ ، ولو كان له واديان ، لأحبَّ أن يكون لهما ثالث ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب[1]، ثمَّ يتوب الله على مَنْ تاب** » . [صحيح]

ومعناه : أن المال إنما أنزل ليُستعان به على إقامة

= ضامن : ذو ضمان ، والضمان : الرعاية للشيء كما يقال : تامر ، ولَابِن ، أي صاحب تمر ولبن ، ومعنى « ضامن على الله » أنه في رعايته ، وما أجزل هذه العطية ، عُدِّيَ بعلى تضمينًا لمعنى الوجوب والمحافظة على سبيل الوعد، أي: وعد الله أن يكلأه من مضار الدنيا والدين .

(١) أي: أن ابن آدم لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت ويمتلىء جوفه من تراب قبره .

حقوق الله تعالى ، لا للتلذذ والتمتع كما تأكل الأنعام ، **فإذا** خرج المال عن هذا المقصود فات الغرض والحكمة التي **أنزل** لأجلها ، وكان التراب أولى به ، فرجع هو والجوف **الذي** امتلأ بمحبته وجمعه إلى التراب الذي هو أصله ، **فلم ينتفع** به صاحبه ، ولا انتفع به الجوف الذي امتلأ به .

● وضمن تبارك وتعالى لعباده أرزاقهم ، فقال تعالى :
﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ : « **لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهربُ من الموت ، لأدركه رزقه كما يدركه الموت** » .

[حسن]

وقال ﷺ : « **الرزق أشد طلبًا للعبد من أَجَله** »

[حسن]

وقال ﷺ : « **إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي ، أنَّ نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنَّ أحدَكم استبطاءُ الرزق أن يطلبه بمعصية الله ، فإن الله تعالى لا يُنال ما عنده إلا بطاعته** » .

[صحيح]

وقال ﷺ : « **من كانت همَّه الآخرةُ ؛ جمع الله له شمله ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا راغمة ، ومن كانت همَّه الدنيا ؛ فرَّق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له** » . [صحيح]
فيُرزق العبد رغم أنفه ، لأن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره ، لأنه سبق به قلم القضاء ، رُفعت الأقلام ، وجفت الصحف .

ومن اشتغل بالدنيا عن الصلاة المفروضة فإنه يدخل في قوله تعالى : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا** ﴾ .

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : (**إن الله تعالى يقول** : « **يا ابن آدم تفرغ لعبادتي ، أملأ صدرك غِنًى ، وأسُدَّ فقرك ، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلًا ، ولم أسدَّ فقرك** ») . [صحيح]

ومن الغريب أن بعض الناس ينهمكون في خدمة الدنيا على حساب الدين والصلاة ، فإذا ما نُصِحوا وذُكِّروا بأن

الرزق مضمون ، وأن عليهم أن يُجملوا في طلب الدنيا ، انطلق الواحد منهم محتجًّا بأن ضمان الرزق لا يعني ترك الأسباب ، ثم إذا ذكِّر بأوامر الله ونواهيه قال : « إن الله كريم » ، وكريم الآخرة أليس هو أيضًا كريمًا في الدنيا ؟ قال بعض الصالحين : « اجتهادك فيما ضُمِن لك ، وتقصيرك فيما طُلِب منك ، دليل على انطماس البصيرة » .

قال الله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ومن اتقى الله بتقديم حقه في أداء الصلاة على ما عداه ، عوَّضه عما فاته من الدنيا ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، وقال سبحانه : ﴿ **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض** ﴾ ، وقال عز وجل: ﴿ **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقًا لنفتنهم فيه** ﴾ .

وقد رُوي في بعض الآثار : « وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » فمن شؤم تضييع الصلاة نقصان الرزق ومحق البركة .

ومن عجيب أمر بعض الناس أنك إذا دعوتهم لترك

شواغلهم لإجابة الداعي إلى الصلاة ، تعرف في وجوههم المنكر ، كيف يتركون العمل لأجل الصلاة مع أن « العمل عبادة»، وإن هذه العبارة التي ذاعت شاعت، وقد شب عليها الصغير ، وهرم عليها الكبير ليست آية قرآنية ، ولا حديثًا نبويًّا ، بل هي – في هذا السياق – عبارة فجة منكرة .

إن العمل الذي يلهيك عن فريضة الله عبادة ... لكن عبادة للشيطان ، وعبادة للدنيا ، قال ﷺ : « **تعِس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم** » الحديث ، وهذا المسلك من أربابه ﴿ **الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا وغرتهم الحياة الدنيا** ﴾ من المغالطات العَلمانية التي يطلقها مَنْ لا يرجون لله وقارًا .

ولو كان يجوز لأحد أن يترك الصلاة لانشغاله بما عداها، لكان أولى الناس بذلك المجاهد الذي يكافح العدو ، ومع ذلك لم يُعذر في ترك الصلاة وشَرَعَ الله له صلاة الخوف .

أو المريض الذي أنهكه المرض ، لكن تبقى الصلاة فريضة عينية في حقه، ويصلي حسب ما يستطيع، فلا يُتصور مسلم لا يصلي إلا امرأة حائضًا أو نفساء ، والله تعالى أعلم .

فهي أول فروض الإسلام بعد الشهادتين ، كما تقدم بيانه ، وهي أول ما نُسأل عنه من حقوق الله عز وجل يوم القيامة : فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر**[1] **، وإن انتقص من فريضة قال الرب : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله على ذلك** » . [صحيح]

---

(١) وإلى نفس هذا المعنى يشير : ما يُروى عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن امرأة أتت النبي ﷺ تسأله ، ومعها صبيان لها ، فأعطاها ثلاث تمرات ، فأعطت كل واحد منهما تمرة ، قال : ثم إن أحد الصبيين بكى ، قال : فشقتها ، فأعطت كل واحد نصفًا ، فقال رسول الله ﷺ : « **حاملات ، والدات ، رحيمات بأولادهن ، لولا ما يصنعن بأزواجهن لدخل مصلياتهن الجنة** » [ضعيف] فتأمل كيف اشترط الصلاة في الانتفاع بما عداها من الصالحات ، ومفهوم قوله : « **مصلياتهن** » أن اللائي لا يصلين لا يدخلنها ، وهو وارد على سبيل الزجر والتخويف والردع .

وهي آخر ما يُفقد من الدين : فعن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **أول ما يُرفَع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ، ورُبَّ مُصَلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى** » أي : لا نصيب له ، ولا ثواب . [حسن]

وَعنِ أبي أمامة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإسلام عُروةً عروة ، فكلما انتقضت عروة ، تشبث الناسُ بالتي تليها ، فأوَّلُهن نقضًا الحكم ، وآخرهن الصلاة** » . [صحيح]

فليس بعد ذهاب الصلاة إسلام ولا دين، لأن الصلاة أول الإسلام، وآخره، وما ذهب أوله وآخره، فقد ذهب جميعه .

(٣٠) الصلاة سبب النصر والتمكين والفلاح في الدنيا والآخرة

فقد قال تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ إلى قوله جل وعلا : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ **قد أفلح من**

تزكى وذكر اسم ربه فصلى ﴾، وسمى الصلاة فلاحًا، **فجعل** النداء إليها نداءً إلى الفلاح : « حَيَّ على الصلاة ، حَيَّ على الفلاح » ، والفلاح : الفوز بالمراد ، والبقاء في الخير .

وبالصلاة يُستمنح نصرُ الله تعالى ، قال عز وجل : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون** ﴾ ولعل في تشريع صلاة الخوف حال الالتحام المسلح ما يشير إلى أثر الصلاة في استجلاب نصر الله تعالى ، وعن سعد – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **إنما ينصر اللَّهُ هذه الأمةَ بضعيفها ، بدعوتهم ، وصلاتهم ، وإخلاصهم** » .

[صحيح ، وهو في البخاري بدون ذكر الإخلاص]

قال رجل للحسن : « أوصني » ، قال : « أعِزَّ أمر الله ، يعزَّك الله » ، قال تعالى : ﴿ **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة** ﴾ ومعناه : إني معكم بالنصر والتأييد إن كنتم

أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، ومن كان الله معه فقد تولاه ، والله عز وجل لا يعز من عاداه ، ولا يذل من والاه ، بل الذل حليف من حاربه وعصاه ، قال ﷺ : « **وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى** » . [صحيح]

وعباد الله الذين يعاقِب بهم أعداءه ويعذبهم بأيديهم ، ويستمدون منها زادًا ووقودًا في جهادهم ، قال الله تعالى : ﴿ **فإذا جاء وعد أُولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأسٍ شديد** ﴾ الآية ، وبهذه العبودية يتعرف عليهم الحجر آخر الزمان ، ويناديهم : « **يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال ، فاقتله** » الحديث . [رواه مسلم]

فإذا فتح الله عليهم يكون أعظم ما يقدمونه إقامة الصلاة في الناس : ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾.

(٣١) الصلاة نجاةٌ من عذاب القبر

إن طاعة الله عز وجل هي خير ما يقدمه الإنسان ويدخره في قبره ، قال تعالى : ﴿ **من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون** ﴾ قال مجاهد: « في القبر » .

عن أنس - رضي الله عنه - قال رسول الله ﷺ : **« يتبع الميتَ ثلاثة ، فيرجع اثنان ، ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله »** متفق عليه .

وقد وصف لنا الصادق المصدوق تفاصيل ما يجري في أول لقاء يتم في القبر بين المؤمن وبين عمله الصالح الذي يصحبه ولا يفارقه . ففي حديث البراء الطويل قال ﷺ في المؤمن : (**فيأتيه من رَوْحها وطيبها ، ويُفسح له في قبره مَدَّ بصره ، قال** : **ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول** : « **أبشر بالذي يسرك ، أبشر برضوان من الله ، وجنات فيها نعيم مقيم ، هذا يومك الذي كنت توعَدُ** » ، **فيقول له** : « **وأنت فبشَّرك الله بخير ، من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير** » ، **فيقول** : « **أنا عملك الصالح ، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا في إطاعة الله ، بطيئًا في معصية الله ، فجزاك الله خيرًا** » ، **ثم يُفتح له باب من الجنة**) الحديث . [صحيح]

وتأتي الصلاة في مقدمة الأعمال الصالحة التي تحفظ

صاحبها من عذاب القبر : فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : (**إن الميت إذا وُضع في قبره ، إنه يسمع خَفْقَ نعالهم حين يُوَلُّون عنه ، فإن كان مؤمنًا ، كانت الصلاة عند رأسه ، وكان الصيام عن يمينه ، وكانت الزكاة عن يساره ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه . فيؤتى مِن قِبَل رأسه ، فتقول الصلاة : « ما قِبَلي مَدْخَلٌ » ، ثم يؤتى عن يمينه ، فيقول الصيام : « ما قِبَلي مدخل » ، ثم يؤتى عن يساره ، فتقول الزكاة : « ما قِبلي مدخل » ، ثم يؤتى من قبل رجليه ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف إلى الناس : « ما قِبلي مدخل .. »**) الحديث . [حسن]

(٣٢) الصـلاة
أمنيةُ الأموات والمعذَّبين

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه – قال : (مرَّ النبي ﷺ على قبر دُفِن حديثًا ، فقال : « **ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية**

دنياكم » .   [صحيح]

قال إبراهيم بن زيد العبدي : (أتاني رياح القيسي فقال : « يا أبا إسحق انطلق بنا إلى أهل الآخرة ، نُحدِث بقربهم عهدًا ، فانطلقت معه ، فأتى إلى المقابر ، فجلسنا إلى بعض تلك القبور ، فقال : « يا أبا إسحق ! ما ترى هذا متمنيًا لو مُنِّي ؟ » ، قلت : « أن يُرَدَّ واللَّهِ إلى الدنيا ، فيستمتع من طاعة الله ويُصلح » ، قال : « فها نحن » ، ثم نهض ، فَجَدَّ ، واجتهد ، فلم يلبث يسيرًا حتى مات) .

إن الموت هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار ، وهو الحد الفارق بين دار الامتحان وبين دار ظهور النتائج ، فليس لأحدٍ بعده من مستعتَب ولا اعتذار ، ولا يمكن الزيادة في الحسنات ولا النقص من السيئات ، ولا حيلة ولا افتداء ، ولا درهم ولا دينار ، قال الله تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدَهم الموت قال رب ارجعون لعلّي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل**

ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصَّدَّق وأكن من الصالحين ولن يؤخِّر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ **وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مَرَدٍّ من سبيل** ﴾ فهم يسألون الرجعة عند الاحتضار ، وكذلك يسألونها إذا وُقفوا على النار ، قال جل وعلا : ﴿ **ولو ترى إذ وُقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** ﴾ ، وكذا يتمنونها إذا عُرضوا على ربهم : ﴿ **ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ .

وكذا يتكرر سؤالهم الرجعة وهم في غمرات الجحيم كما قال تعالى : « **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل * أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** »

وقال سبحانه : ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل** ﴾ .

وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رَبِّ ارجعون لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا** ﴾ : (كان العلاء بن زياد يقول : « لِيُنْزِل أحدكم نفسَه أنه قد حضره الموت ، فاستقال ربه ، فأقاله ، فليعمل بطاعة ربه تعالى ») ، وقال قتادة : « والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » .

من أجل ذلك أوصانا رسول الله ﷺ فقال : « **اغتنم خمسًا قبل خمس : شبابك قبل هَرَمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**». [صحيح]

إذ هي أيامُ وأحوالُ العملِ والتأهب والاستعداد، والاستكثارِ من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها ، ولا ينفعه التمني للأعمال، بعد التفريط منه والإهمال، في زمن الفرصة والإمهال، ومن فرط في العمل في زمن الحياة، لم يدركه بعد حيلولة الممات، فعند

ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ، ويطلب الكَرَّة وهيهات ، وتعظم حسراته حين لا مدفع للحسرات ﴿ **وحيل بينهم وبين ما يشتهون** ﴾ من الرجعة والتوبة والإخبات ، قال تعالى : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجإٍ يومئذ وما لكم من نكير فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا إن عليك إلا البلاغ** ﴾ .

(٣٣) الصلاة نجاةٌ من عذاب الله تعالى

فعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **تحترقون[1] تحترقون ، فإذا صليتم الصبح غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صلَّيتم الظهر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم العصر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم المغرب غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فإذا صليتم العشاء غسلتها ، ثم تنامون ، فلا يُكتب عليكم شيء حتى تستيقظوا** » . [حسن]

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال رسول الله

(١) أي: تقعون في الهلاك بسبب الذنوب الكثيرة .

ﷺ : « **إن لله مَلَكًا ينادي عند كل صلاة : يا بني آدم ! قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها فأطفئوها** » . [حسن]

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – موقوفًا : (**إن الله ليضحك** إلى رجلين : رجل قام في ليلة باردة من فراشه ولحافه ودِثاره ، فتوضأ ، ثم قام إلى الصلاة ، فيقول الله عز وجل لملائكته : « ما حمل عبدي هذا على ما صنع ؟ » فيقولون : « ربَّنا ، رجاءَ ما عندك ، وشفقةً مما عندك » ، فيقول : « فإني قد أعطيتُه ما رجاه ، وأمَّنْتُه مما يخاف ») [حسن]

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : (رأيت في المنام أنه جاءني مَلَكان في يد كل واحد منهما مَقمعةٌ من حديد ، ثم لقيني مَلَك في يده مقمعة من حديد ، قالوا : « لن تُرَع » ، نعم الرجل أنت لو كنت تكثر الصلاة من الليل ، فانطلقوا بي حتى وقفوا بي على شفير جهنم) الحديث ، متفق عليه .

ويُروى عن عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب – رضي الله عنه – قال : (خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا ، وكنا في

صُفَّةٍ بالمدينة ، فقام علينا ، وقال : « **إني رأيت البارحة عجبًا** ») الحديث وفيه : « .. **ورأيت رجلًا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته ، فاستنقذته من أيديهم** » الحديث .

وقد ضمن الله عز وجل النجاة من النار لمن حافظ على صلاتي الفجر والعصر ، فعن عمارة بن رويبة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **لن يلج النارَ أحد صلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** » . [رواه مسلم]

حتى أهل المعاصي والفساد الذين كانوا لا يتركون الصلاة مع مقارفة المعاصي تنفعهم صلاتهم ، وتكون سبب نجاتهم وخروجهم من النار بعد دخولها بسبب معاصيهم :
عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرج من النار من أراد أن يرحم ممن كان شهد أن لا إله إلا الله ، أمر الله أن يخرجوهم ، فيعرفوهم بعلامة آثار السجود ، وحَرَّم الله على النار أن تأكل من بني آدم أثر السجود ، فيخرجونهم قد امتحشوا ، فينصب عليه من**

ماء يقال له : ماء الحياة ، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل » الحديث . [متفق عليه]

قال تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** ﴾ فالصلاة تحفظ صاحبها ، وتشفع لمصليها .

وقال ﷺ : « **من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر : وأربع بعدها حُرِّم على النار** » . [صحيح]

(٣٤) الصلاة رافعةُ الدرجات

قال تعالى : ﴿ **ومن الليل فتهجَّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربُّك مقامًا محمودًا** ﴾ فأُعطي ﷺ بصلاة الليل المقام المحمود ، ونال أشرف المنازل .

وعن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أنه قال لرسول الله ﷺ : « حَدِّثني بعمل يُدخلني الجنة » ، قال : « **بَخٍ بَخٍ سألتَ عن أمر عظيم ، وهو يسيرٌ لمن يسَّره اللهُ به ، تُقيمُ الصلاةَ المكتوبة ، وتُؤْتي الزكاةَ المفروضة ، ولا تُشْرِكُ بالله شيئًا** » . [حسن]

وعن كعب بن عجرة – رضي الله عنه – قال : (خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن سبعة نفر ، أربعة من موالينا ، وثلاثة من عَربنا ، مُسندي ظهورنا إلى مسجده ، فقال : « **ما أجلسكم ؟** » ، قلنا : « جلسنا ننتظر الصلاة » ، قال : فأرَمَّ[1] قليلًا ، ثم أقبل علينا ، فقال : « **هل تدرون ما يقول ربكم ؟** » فقلنا : « لا » قال : « **فإن ربكم يقول : من صلى الصلاة لوقتها ، وحافظ عليها ، ولم يضيِّعها استخفافًا بحقها ، فله عليَّ عهدٌ أن أدخِلَه الجنة ، ومن لم يصلها لوقتها ، ولم يحافظ عليها ، وضيَّعها استخفافًا بحقها ، فلا عهد له عليَّ ، إن شئتُ عذَّبته ، وإن شئت غفرتُ له** » . [حسن]

وعن عمرو بن مرة الجهني – رضي الله عنه – قال : (جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : « يا رسول الله ! أرأيت إن شهدتُ أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلواتِ الخمسَ ، وأدَّيتُ الزكاة ، وصُمْتُ رمضان ، وقمته ، فمِمَّن أنا ؟ » ، قال : « **من الصِّدِّيقين**

---

(١) (أَرَمَّ) : سكت .

والشهداء ») . [صحيح]

وعن ربيعة بن كعب قال : (كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته ، فقال لي : « **سلني** » ، فقلت : « أسألك مرافقتك في الجنة » ، قال : « **أَوْ غيرَ**[1] **ذلك** ؟ » ، قلت : « هو ذاك » ، قال : « **فأعِنِّي على نفسك بكثرة السجود** ») . [رواه مسلم]

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : « **في الجنة غُرْفَةٌ يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطُنها من ظاهرها** » فقال أبو مالك الأشعريُّ : « لمن هي يا رسول الله ؟ » ، قال : « **لمن أطاب الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات قائمًا والناس نيام** » . [صحيح]

وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **ما من أحدٍ يتوضأ، فيُحسن الوضوء، ويُصلي ركعتين، يُقبل بقلبه ووجهه عليهما ، إلا وجبت له الجنة** » [مسلم].

وعن أبي موسى – رضي الله عنه – قال رسول الله

---

(١) بإسكان الواو ، ونصب «غير» ، أي : سل غير ذلك ، يعني غير مرافقته في الجنة .

ﷺ : « **من صلى البردين**[1] **دخل الجنة** ».

[متفق عليه]

وعن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **صلاة في إثر صلاة ، لا لغو بينهما ، كتاب في عليين** » .

[حسن]

وعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – قال : (كان رجلان أخوان ، فهلك أحدهما قبل صاحبه بأربعين ليلة ، فذكرتُ فضيلة الأول منهما عند رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **ألم يكن الآخر مسلمًا ؟** » ، قالوا : « بلى ، وكان لا بأس به » ، فقال رسول الله ﷺ : « **وما يُدريكم ما بلغت به صلاته ؟ إنما مثلُ الصلاة كمثل نهرٍ عذبٍ غَمْرٍ بباب أحدكم ، يقتحم فيه كل يوم خمس مرات ، فما تَرَوْنَ في ذلك يُبقي من درنه ؟ فإنكم لا تدرون ما بلغت به**

---

(١) البردان : الصبح والعصر ، سُمِّيا بذلك لأنهما يصليان في بَرْدَي النهار ، وهما طرفاه حين يطيب الهواء ، وتذهب سَورة الحر .

صلاته ») . [صحيح]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : (كان رجلان من « بَلِيٍّ » من « قُضاعة » ، أسلما مع رسول الله ﷺ فاستشهِد أحدُهما ، وأُخِّر الآخر سنة ، فقال طلحة بن عُبَيْد الله : فرأيت المؤخَّر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد ، فتعجبت لذلك ، فأصبحت ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ أو ذُكِر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : « **أليس قد صام بعده رمضان ، وصلى ستة آلاف ركعة ، وكذا وكذا ركعةً ، صلاةَ سنة ؟** » وفي زيادة صحيحه لابن حبان : « **بينهما أبعُد مما بين السموات والأرض** ») . [صحيح]

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – (أن النبي ﷺ قال لبلالٍ عند صلاة الفجر : « **يا بلال ! حدِّثني بأرجى عمل عملتَه في الإسلام ؟ فإني سمعت دُفَّ نعليك بين يديَّ في الجنة** » ، قال : « ما عملت عملًا أرجى عندي ، أني لم أتطهر طهورًا في ساعة من ليل أو نهار ، إلا صلَّيتُ بذلك الطهور ما كُتب لي أن أصلي ») . [رواه البخاري]

وعنه – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع بــه الدرجات ؟** » ، قالوا : « بلى يا رسول الله » قال : « **إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرةُ الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط** » . [رواه مسلم وغيره]

وعنه – رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ : « **من غدا إلى المسجد أو راح ، أعدَّ الله له في الجنة نُزُلًا كلما غدا أو راح** » . [متفق عليه]

وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون** ﴾ قال : [أرض الجنة يرثها الذين يصلون الصلوات الخمس في الجماعات ﴿**إن في هذا لبلاغًا لقوم عابدين**﴾ أي : بشارة لقوم عابدين أي الذين يصلون الصلوات في الجماعات] .

(٣٥) الصلاة تؤهِّل مقيميها لرؤية الله تعالى في الجنة

رؤية أهل الجنة ربَّهم تبارك وتعالى هي الغاية التي شمَّر

إليها المشمرون ، وتنافس فيها المتنافسون ، وتسابق إليها المتسابقون ، ولمثلها فليعمل العاملون ، إذا نالها أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم ، وحرمانها والحجاب عنها لأهل الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم .

عن الحسن – رحمه الله – قال : « لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا » ، وفي رواية عنه قال : « لذابت أنفسهم » ، وعن نافع – وكان من عُبَّاد الجزيرة – أنه كان يقول : (ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرةً مني إليه ، ثم يقول لي : « يا نافع : كن ترابًا ») .

وإن للمحافظة على الصلاة بقالبها وروحها والإكثار من النوافل تأثيرًا لا يُعرف لغيرها في صفاء القلب ، وزكاء النفس ، وطهارة الوجدان ، وسُمُوِّ الروح ، والاتصال بعالم القُدُس ، فالصلاة تؤهل النفس لتلقِّي التجليات الأخروية واستقبال النفحات الإلٰهية ، لا سيما رؤية الله تعالى في الآخرة[1] .

---

(١) انظر : « الأركان الأربعة » ص (٨٤) .

وقد ربط ﷺ بين رؤية الرب تبارك وتعالى وبين الصلاة فيما رواه جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - قال : (كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلةً - يعني البدر - فقال : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تُضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا** » ، ثم قرأ : ﴿ **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** ﴾) . [متفق عليه]

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **إن في الجنة لسوقًا ، يأتونها كُلَّ جمعة ، فتهب ريحُ الشَّمال فتحثو في وجوههم وثيابهم ، فيزدادون حسنًا وجمالًا ، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا ، فيقول لهم أهلوهم : والله ! لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا ، فيقولون : وأنتم ، والله ! لقد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالًا** » . [رواه مسلم]

فهم يجتمعون وقت صلاة الجمعة في « يوم المزيد » ،

ورُوي في بعض الأحاديث أن الله تعالى يتجلّى لهم فيه ، ويحاضر كلًّا منهم محاضرة .

(٣٦) الصَّلاةُ .. مِفْتَاحُ هِدايةٍ(*)

ومن فضائل الصلاة أنها كانت مفتاح هداية لكثير من الكافرين ، حيث شكَّل « مشهد المسلمين وهم يصلون » الخيط الأول الذي قادهم إلى اعتناق الإسلام ، والاعتزاز به ، وهاك نقولًا عن كاتبين غير مسلمين ، وعن فريق ممن اهتدوا إلى الإسلام عن طريق « الصلاة » توضح ذلك : يقول « توماس أرنولد » : (إن دين المسلم يتمثل دائمًا في مخيلته ، وفي الصلوات اليومية يتجلى هذا الدين في طريقة نسكية خاشعة مؤثرة لا تستطيع أن تترك العابد والمُشاهد

(*) جُمع أغلب مادة هذا الفصل من المصادر الآتية :
١ - « رجال ونساء أسلموا » - عرفات كامل العشي .
٢ - « لماذا أسلم هؤلاء ؟ » - أحمد حامد .
٣ - « الإسلام الدين الفطري الأبدي » أبو النصر الطرازي .
٤ - « قالوا عن الإسلام » د . عماد الدين خليل .
٥ - « لماذا أسلموا ؟ » د. عيسى عبده، أحمد إسماعيل يحيى .

كليهما غير متأثرين) اهـ .

ويتحدث « آرنولد » في كتابه « العقيدة الإسلامية » عن تأثير العبادة وبشكل خاص الصلاة في المسلمين وغيرهم ، فيقول : (هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية ، فكثيرًا ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد المشرق ما لكيفية أدائه من التأثير في النفوس ، وإليك ما قاله الأسقف « لوفروا » بهذا الخصوص ، يقول : « لا يستطيع أحد يخالط المسلمين لأول مرة أن لا يدهش ويتأثر بمظهر عقيدتهم ؛ فإنك حيثما كنت ، سواءٌ أُوجِدتَ في شارع مطروق أم في محطة سكة حديدية أم في حقل ، كان أكثر ما تألف عينك مشاهدته أن ترى رجلًا ليس عليه أدنى مسحة للرياء ، ولا أقل شائبةٍ من حب الظهور يَذَرُ عمله الذي يشغله كائنًا ما كان وينطلق في سكون وتواضع لأداء صلاته في وقتها المحدد) .

ثم يقول : (ولننتقل من صلاة الفرد إلى صلاة الجماعة فنقول : إنه لا يتأتى لأحد يرى ولو مرة في حياته ما يقرب

من خمسة عشر ألف مصل في ساحة المسجد الجامع بمدينة دلهي بالهند يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان وكلهم مستغرقون في صلاتهم ، وقد بدت عليهم أكبر شعائر التعظيم والخشية في كل حركة من حركاتهم ، نقول : إنه لا يتأتى لأحد يرى ذلك المشهد أن لا يبلغ تأثره به أعماق قلبه ، وأن لا يلحظ ببصره القوة التي تمتاز بها هذه الطريقة من العبادة عن غيرها . كما أن توقيت الأذان اليومي للصلاة في أوقات معينة ، حينما يرن به صوت المؤذن في أبكر البكور قبل الإسفار ، وعند الظهيرة والناس مضطربون ومصطخبون في أعمالهم ، وعند المساء ، هذا الأذان الذي يحصل في هذه الأوقات على تلك الصورة كل يوم مشحون هو الآخر بذلك الجلال عينه) اهـ .

ويؤثر عن « رينان » الفيلسوف الفرنسي الشهير قوله : (ما دخلت مسجدًا قط ، دون أن تهزني عاطفة حارة ، أو بعبارة أخرى : دون أن يصيبني أسف محقق على أنني لم أكن مسلمًا) .

(وقد كان ذلك المشهد – مشهد الصلاة – من

الأسباب المساعدة على دخول رجل يهودي من أهل الإسكندرية في الإسلام كما حكاه هو عن نفسه إذ قال : كنت مريضًا مرضًا شديدًا فتمثل لي في أثنائه أن هاتفًا يُهيب بي أن أعلن إسلامي ، ولما دخلت المسجد ، ورأيت المسلمين مصطفين للصلاة وقوفًا كالملائكة ، سمعت في نفسي صوتًا يناديني بقوله: هذه هي الجماعة التي أنبأ بها الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ولما رأيت الخطيب يتقدم للخطبة وعليه رداء أسود وقع في نفسي وجدان الرهبة والخشية ، ولما ختم خطبته بالآية الكريمة التي يقول الله تعالى فيها : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكّرون** ﴾ ، وأقيمت بعد ذلك الصلاة آنستُ من نفسي أنها سمت سموًّا كبيرًا ، فقد بدت لي صفوف المسلمين كأنها صفوف الملائكة[1]، وأن الله

(١) بل هي في الحقيقة كصفوف الملائكة ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه - رضي الله عنهم -: « **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ، يُتمون الصف الأول فالأول ، ويتراصُّون في** =

سبحانه قد تجلى عليهم في سجودهم وركوعهم . وسمعت في نفسي مناجيًا يناجيني بقوله : إن الله سبحانه إذا كان قد خاطب شعب إسرائيل مرتين في جميع القرون الخالية ، فلا جرم أنه يخاطب هذه الجماعة في كل وقت من أوقات صلاتها . واقتنعت في نفسي بأني ما خلقت إلا لأن أكون مسلمًا) اهـ .

وهذا المحامي الشهير « زكي عريبي » عميد اليهود في مصر : (كان يتحرق شوقًا إلى الإسلام كلما رأى مسجدًا ، أو وقعت عيناه على رجل يصلي لله في خشوع ، ويبتهل إليه في خضوع ، وكان قلبه ينشرح حين تقع في أذنيه كلمات الأذان ، تدعو الناس إلى عبادة الواحد الديَّان ، وكان هناك سؤال يتردد في نفسه ، ويلحُّ على عقله دائمًا وهو : « لماذا لا يعتنق الإسلام ؟ » .

وكان هذا الخاطر يعلو صوته في داخله ، ويهزه من أعماقه كلما رأى بين الحقول رجلًا متواضعًا من زارعي الأرض يقف بين يدي الله مؤدِّيًا صلاته في المصلى الصغير

= **الصف** » . [رواه البخاري]

على شاطىء الترعة ، فكان يودُّ لو كان يصلي مثل صلاته ، ويناجي مثل مناجاته ...) في قصة طويلة طلية انتهت بإعلانه إسلامه وعمره خمسة وستون عامًا .

وهذا رجل ألماني وقد رأى مسلمًا ساجدًا ، فتعجب أشد العجب من هذه الحركة ، مما حدا به أن ينتظر حتى ينتهي ذلك المسلم من صلاته ، فلما انتهى تقدم إليه ، وسأله عن معنى هذه الحركات ، وبخاصة ما يتعلق « بالسجود » ، فبيَّن له ذلك المسلم معنى الصلاة وحكمتها وآثارها ، فأصيب وهو يستمع إلى الشرح بما يشبه الذهول الممزوج بالفرحة ، وكأنه قد وقع على ما كان يبحث عنه منذ سنين ، وبيَّن للمسلم سبب تعجبه ، بأنه يعاني من مرض نفسي ، وضيق دائم ، وأنه ما أن يلصق جبهته بالأرض حتى يشعر بالراحة ، وكلما عاوده ذلك الضيق النفسي عاد لإلصاق جبهته بالأرض ليجد الراحة ، حتى رأى ذلك المسلم ، فعرف سر تلك الراحة التي كان يشعر بها .

اصطحبه ذلك المسلم إلى المركز الإسلامي بمدينة « ميونيخ » حيث قام المسئولون هناك بشرح الإسلام له ،

وأعلن على إثر ذلك شهادة التوحيد ، ودخل في الإسلام .

وهذا « كوفهي لال جابا » الثري الهندوكي الذي صار بعد إسلامه « خالد لطيف جابا » السياسي والصحافي والمؤلف الهندي يحكي عن الإشعاعات النورانية الأولى التي أشرقت في قلبه ، مبينًا أن مصدرها كان « مشهد الصلاة » فيقول : [كنت كلما مررت بأحد المساجد للمسلمين في الهند أُفعم قلبي بالإحساس بعظمة هذا المكان وقُدسيته ، وكنت أشعر دومًا أن المؤذن وهو ينادي إلى الصلاة ، كان يقصدني أنا بالذات في ندائه ذلك ، وكأن هاتفًا من داخلي يجيبه قائلًا : « هيا بنا إلى الصلاة ، هيا بنا إلى الفلاح » .

وكان قلبي يريد الانضمام إلى جماعة المؤمنين في المسجد ، وكان النداء والدافع قويًّا إلى درجة أنني لم أتمالك ...ي من الدخول إلى المسجد ، والوقوف في صف المسلمين ، والحقيقة أنني لم أستطع مقاومة ذلك ، وظللت أفعله فترة طويلة من الزمن] .

وهذه الأخت الفلبينية « جميلة لاما » والتي كانت قد رُبِّيت تربية كاثوليكية صارمة ، ثم أشرق قلبها بنور ربها ،

فأسلمت له وجهها ، تحكي بعض التجارب التي عاشتها كإرهاصات سبقت إسلامها ، فتقول :

(.. والغريب أنني كنت أستيقظ عند الفجر(*) تحدوني

(*) أظهرت البحوث العلمية الحديثة أن مواقيت الصلاة التي شرعها الله لنا تتوافق زمنيًّا مع أوقات النشاط الفسيولوجي للجسم ، مما يجعل القيام بها في استطاعة المسلم المكلف بها دون عناء أو مشقة ، إذا ما واظب على أدائها في أوقاتها ، فهورمون الكورتيزون (هرمون النشاط) يبدأ في الازدياد بحدة مع دخول وقت صلاة الفجر ، بينما ينخفض بدرجة ملحوظة أثناء الليل ، ويتلازم منسوب ضغط الدم مع درجة إفراز « الكورتيزون » ، حيث يبدأ ضغط الدم في الارتفاع إلى الحد الفسيولوجي المطلوب بدخول وقت صلاة الفجر ، ويبدأ انخفاضه بعد الغروب .

كما أن إفراز « الكورتيزون » يهبط إلى حده الأدنى بالنهار بعد الضحى وحتى وقت الزوال ، وهنا يستطيع الجسم أن ينال قسطًا من النوم والراحة (نوم القيلولة) يعينه على قيام الليل ، وإلا احتاج إلى مجاهدة إذا أراد قيام الليل للانخفاض الشديد في منسوب « الكورتيزون » أثناء النوم بالليل ، الأمر الذي لا يقوى عليه إلا أرباب العزائم وذوو الهمة العالية ، فمن ثمَّ قال تعالى : ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطئًا وأقوم قيلًا** ﴾ ، ولهذا أيضًا كان قيام الليل من أفعال الأبرار الذين ﴿ **تتجافى** =

رغبة قوية للصلاة ، وكذلك كان يتملكني هذا الإحساس نفسه عند الغروب ، فعلًا أخذت أصلي على الطريقة النصرانية ، وهي الطريقة الوحيدة التي كنت أعرفها حينئذ ، إلا أن إحساسي بالفراغ الروحي ظل يسيطر على نفسي رغم هذه الصلاة ، لقد شعرت أنني كنت متعطشةً لشيء لم تكن لدي أي صورة واضحة عنه ، ففي كثير من الأحيان كانت الدموع تنهمر من عيني ، ويفيض بها وجهي ، عندما كنت أدعو الله أن يمنحني النور والصبر ، لأن ما كنت أحس به وأكتشفه كان أكبر من طاقتي وقدرتي على الفهم والاستيعاب .

.. وجاء وقت أحسست فيه بدافع قوي يحضني على الصلاة في مكان لا صور فيه إلى أن عرفت أنه المسجد ، فقطعت عدة كيلو مترات عبر حقول الأرز بحثًا عنه .

وفي اليوم التالي شاركت المصلين صلاة الجمعة ، تقول : (إن نداء الصلاة « الأذان » في الإسلام قد بدَّد الأساس الواهي لعقيدتي السابقة ، وعندما بدأت صلاة الجمعة

= جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ﴾ .

أحسست بالطمأنينة تغمرني ، وهو إحساس نادر لم أشعر به من قبل ، وعندما سجدت لله مع جمع المصلين ، فاضت روحي بسعادة لا حدود لها ، هذا هو ما كنت أتعطش له ، لقد وجدت الإسلام برحمة من الله وبركاته ، واعتنقته بمشيئة الله وإرادته) .

ويقول المهندس المعماري الأسترالي « نورمان والدوبلونكيت » والذي أصبح اسمه فيما بعد : « أحمد عبد الله نورمان » : (كنت في فترة الحرب العالمية بالصحراء الغربية في ليبيا ، ووجدت رجلًا يُسَوِّي الرمال بيده ، ثم يقف في خشوع ، وينصرف عن كل ما حوله ، فسألت : « ماذا يفعل هذا الرجل ؟ » ، فقيل لي : « إنه يصلي » ، وسألت عن دينه الذي يسلك به هذا المسلك البسيط بلا طقوس ؟ ومن هذه اللحظة التي كنت أكثر ما أكون حاجة إلى ما يضيء نفسي ، ويريح خواطري بدأت بدراسة الأديان ، وفي مقدمتها الإسلام ، فأسلمت) اهـ .

وهذه « مارجريت فيليب » الإنجليزية التي كانت تعيش

مع زوجها الهولندي تلقى أسرة مسلمة ، فتسأل عن الإسلام وتعاليمه ، وتتلقى إجابات كثيرة ، وذات يوم وقفت أمام منظر لا يمكن لها نسيانه إلى الأبد ، فقد كانوا في حقل القرية ، وجاءهم الهولندي المسلم ، وجلسوا يشربون الشاي ، وفجأة وجدت الرجل ينظر في ساعته ، ويقوم بسرعة ليقف على بعض الحشائش النظيفة في هدوء ووقار شديدين ، ويرفع يديه إلى السماء ، قائلًا : « الله أكبر » .. وراح الرجل يصلي في خشوع المسلمين العابدين المؤمنين ..

ثم عقدت « مارجريت » مقارنة سريعة بين صلاة المسلمين بلا وسيط وبلا قرابين وبلا كهنوت رطقوس ، وبين الصلاة في الكنيسة.. وكانت رؤية مشهد الصلاة الخيط الأول الذي قادها إلى أن تعتنق الإسلام ، وتسمى نفسها : « آمنة عبد الله » ، وتتحول إلى داعية للإسلام فيسلم زوجها على يديها ، وتحمل رسالة الإسلام إلى أهل قريتها .

وهذه « نجوى أدمون شوفاني » فتاة لبنانية نصرانية مارونية (تزوجَتْ شابًّا مسلمًا ، أُعْجِبَتْ بأخلاقه وسلوكه ، وعَرفتْ أن هذه الأخلاق الحميدة نابعة من

تدينه ، وتمسكه بإسلامه ، وكانت تراقبه وهو يصلي واقفًا بين يدي الله في خشوع ، فتتأثر بذلك كثيرًا) إلى أن أعلنت إسلامها .

وهذا الأخ « عبد الصبور بيلار » الشاب الأمريكي الذي كان نشيطًا في الدعوة إلى النصرانية بين الألمان حتى لقب نفسه بـ « بطرس الأمريكي » ، وقد تعرض لحادث سيارة نجا منه برحمة الله ولطفه ، واحتجز في المستشفى ليبقى فيها عامًا كاملًا ، فاشترى جهاز « تليفزيون » ووضعه في غرفته حيث كانت بداية الهداية ، يقول : (.. فرأيت صورة مكة من التليفزيون ، والمسلمين يصلون ، ورأيت الملك « فيصل » يصلي، فقلت لنفسي : « هذا هو الطريق » .

لكنني في ذلك الحين لم أكن أعرف شيئًا عن الإسلام ، وكان انطباعي بأن هؤلاء القوم ليسوا متكبرين ، لأنهم يضعون جباههم على الأرض ساجدين لله ، فقلت : « هذا هو أفضل سبيل للعبادة .. »[1] .

---

(١) ولقد صدق وبرَّ فيما قال ، فإن الله عز وجل اختار لأفضل رسول وأفضل أمة أفضل صلاة وأكملها ، ولذلك اقتدى به جميع =

ومن « تايوان » يقول الشاب الصيني « يونج بنج يي » وهو يحكي قصة إسلامه ، وكيف بدأت ؟

(لقد أحببت الطريقة التي يعبد بها المسلمين ربهم ، ويصلون جماعة في المسجد ، لقد لاحظت أنهم يسجدون بكل ذل وخضوع لله تبارك وتعالى ، وأحسست حينئذ أن هذه هي أفضل طريقة لعبادته سبحانه .. ومن هنا أحببت الإسلام ، وقبلته لنفسي دينًا) .

ويقول الأخ الألماني « محمد صديق » وهو يتحدث عن الشيء الذي اجتذب قلبه إلى نور الإسلام :

(إن شكل الصلاة الإسلامية هو الذي جعلني أفكر في الإسلام[1]، فقد أردت أن أعرف لماذا يقوم هؤلاء الناس

= الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وَأْتَمُّوا بصلاته ﷺ ليلة الإسراء ، وكذلك المسيح – عليه السلام – حين ينزل في آخر الزمان يصلي خلف المهدي بصلاة المسلمين ، وفقًا لشريعة خاتم النبيين الباقية إلى قيام الساعة .

(١) ولعل هذه الظاهرة تفسِّر لنا لماذا يحرص الإعلام الغربي – الذي هو مُسخَّرٌ لليهود بالدرجة الأولى – أن يتوقى إبراز صلاة المسلمين كاملة ، وإذا أظهر جزءًا منها ؛ فإما أن يتحايل لالتقاط الصور =

بالصلاة بهذه الكيفية ، فاستنتجت أنها خير سبيل يختاره الإنسان لعبادة خالقه ، فبدأت وأنا ما زلت بروتستانتيًّا في أداء الصلاة بالكيفية الإسلامية ..) اهـ .

وقال « لا يتنر » :

(في المساجد ترى المساواة التامة بين المصلين ، فلا يوجد فيها مقاعد خاصة بأحد ، وأي إمام يمكنه أن يؤم المصلين ، ولا يوجد منظر أبهج من منظر جماعة المسلمين يصلون وهم خاشعون صامتون) اهـ .

وهذه « ديبورا بوتر » فتاة أمريكية من ولاية « ميتشجن » قضت رحلة طويلة بحثًا عن الحق ، وانتهت إلى أن دين الإسلام هو الحق الوحيد في هذا الوجود ،

= من مسقط لا يليق بالصلاة ، وإما أن يحشد من التعليقات المسموعة ما يلفت انتباه المشاهد بعيدًا عن التأثير الرائع الذي تحدثه الصلاة في قلوب من يشاهدونها ، والتي قد تصل إلى حد زعم أن المسلمين يعبدون حجارة الكعبة ، أو إظهار صلاة المسلم على هيئة رجل ينحني للأمام قليلًا بينما هو يرفع ويخفض يديه الممدودتين لأعلى ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

كتبت إلى والدها تدعوه إلى الإسلام ، وكان مما قالته ضمن رسالة طويلة بليغة تفيض بالبر والرحمة والرفق :

(لست أدري هل سبق لك أن شاهدت صورة في التلفاز عن صلاة الجماعة عند المسلمين ، فقد حدث قبل أن أعرف شيئًا عن الإسلام ، منذ عدة سنوات أن شاهدت ذلك عن الصلاة في مصر ، ورأيت كيف تقام هذه الصلاة ، وقد هزَّني في ذلك الحين الإخلاص البديع ، والخضوع والمساواة ، والأخوة بين المصلين ، فقد رأيت الغني والفقير ، والكبير والصغير ، والأبيض والأسود يصطفون في صفوف واحدة يسجدون في خشوع لله سبحانه وتعالى) اهـ .

وهذا النصراني الأمريكي « توماس محمد كلايتون » الذي نفر بفطرته من العقيدة النصرانية ، ففر إلى الحنيفية السمحة، يحكي قصة إسلامه تحت عنوان : « تجربة نيرة » :

(كانت الشمس قد مالت عن الزوال ، وبينما كنا نمشي عبر الطريق الحار المغبر سمعنا غناءً رتيبًا عذبًا غريبًا يملأ الجو من حولنا ، ولما دخلنا وسط مجموعة من الشجر

وقعت أبصارنا على مشهد غريب معجب لم تصدقه عيوننا ، فهناك رأينا رجلًا عربيًّا أعمى ، يرتدي ملابس بيضاء نقية ، وعلى رأسه عمامة بيضاء كذلك ، كان الرجل واقفًا على برج خشبي عالٍ يكاد يقرع السماء بترنيمه الساحر ، فجلسنا دون أن نشعر بذلك ، وقد أُخِذنا بإيقاعه الغريب ، وكأنه يصدر عن شبح ، لم نكن نفهم الكلمات التي كان يرددها ، ولكن سحرها انساب إلى آذاننا وقلوبنا : « الله أكبر ! الله أكبر ! لا إلٰه إلا الله » ![1].

قبل ذلك لم نكن نشعر بأي شيء يجري حولنا ، أما الآن

(١) ومن عجائب الأخبار ما نشرته مجلة « الدعوة » العدد (١٢٢٥) من أن عميد الأطباء النفسانيين في ألمانيا اعتاد أن يعالج مرضاه بإسماعهم « الأذان » دون أن يعرف أنه النداء الإسلامي باللغة العربية لأداء الصلاة ، ولما اكتشف هذه الحقيقة قال نقيب الأطباء النفسانيين في ألمانيا : « إن كلمات الأذان الذي يدعو المسلمين إلى الصلاة ، تُدخِل السكينة إلى قلب المريض النفسي حتى لو لم يكن يفهم معانيها !! » وأضاف : « إن الأذان يزرع النور والأمل بداخل المصابين بالاكتئاب ، أو فقدان الثقة بالنفس ، أو كراهية الحياة ، أو الشعور بالفشل » .

فقد بدأنا نرى أعدادًا كبيرة من الناس يتجمعون ، إنهم أناس من مختلف الأعمار يرتدون ألوانًا شتى من الملابس ، ويمثلون كافة قطاعات الحياة ، لقد أخذوا يقتربون من المكان بانكسار ينم عن خشوع ، يفرشون الحصر الطويلة على الأرض ، لقد كان مشهدًا ممتعًا حقًّا يجمع تناقض الألوان ، خضرة الأعشاب ، واصفرار الحصر ، وظلت جموع الناس تَغُذُّ إلى المكان حتى بدأنا نعجب : هل يا ترى سيتم التئام الجمع المحتشد ؟

كان الناس يخلعون أحذيتهم أو نعالهم ، وينتظمون في صفوف طويلة الواحد منها وراء الآخر ، وقد أثار دهشتنا ، ونحن نرقبهم في صمت أنه لا توجد فوارق من أي نوع بين أفراد هذا الاجتماع ، فلقد كان البيض والصفر والسود ، إلى جانب الفقراء والأغنياء والشحاذين والتجار ، يقفون جنبًا إلى جنب دون أدنى التفات إلى العنصر أو المكانة الاجتماعية في الحياة[1] ..

---

(١) روى الإمام أحمد بسنده إلى أبي بكر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « .. **مملوكك يكفيك ، فإذا صلّى** =

ولم يحدث أن رجلًا واحدًا من ذلك الجمع الحاشد رفع ناظريه بعيدًا عن الحصير المفروش أمامه مباشرة .

إن روح الأخوة التي تجلت في ذلك الجمع المتباين من الناس قد تركت انطباعًا لا يمكن أن يمحى من نفسي ما حييت) اهـ .

وهذا الصحافي النمساوي اليهودي « ليوبولد فايس » ، الذي كان إسلامه فتحًا على الدعوة الإسلامية في هذا القرن ، نسج مشهدُ المسلمين - وهم يصلون خاشعين - الخيطَ الأول في قصة إسلامه أيضًا ، وقد روى قصة إسلامه في كتابه : « الطريق إلى مكة » ، فقال(*):

(في ذلك الخريف من عام ١٩٢٢م كنت أعيش في بيت داخل مدينة القدس القديمة ، وكثيرًا ما كنت أجلس إلى النافذة التي كانت تطل على فناء متسع وراء البيت ، وكان

= فهو أخوك ، فإذا صلَّى فهو أخوك » أي إذا صلَّى فإنه أخوك في الدين ، فينبغي عليك إكرامه ، والحديث فيه فرقد السبخي، وهو ضعيف .

(*) نقلًا من « مكانة الصلاة في الإسلام ، ودورها في نشر الدعوة الإسلامية في العالم » (١٤٣ - ١٤٨) .

هذا الفناء ملكًا لرجل عربي يدعى « حاجي » كان يؤجر الحمير للركوب وحمل الأثقال ، وجعل من الفناء نزلًا لمبيت القوافل ، وفي أثناء النهار كانت أجسام الجمال الثقيلة تُرى مضطجعة على الأرض ، والرجال لاغطين دائمًا منهمكين بالعناية بها وبالحمير ،.... وكان « الحاجي » يجمعهم عدة مرات في النهار للصلاة ، وكانوا يقفون جميعًا في صفّ طويل واحد ، وكان هو إمامهم ، كانوا كالجنود في دقة حركاتهم ، ذلك أنهم كانوا ينحنون معًا باتجاه مكة ، ثم ينهضون ثانية ليسجدوا ، وتلمس جباهُهُمُ الأرضَ ، كانوا يتبعون كلمات قائدهم الخافتة ، وكان يقف بين الركوع والسجود ، حافي القدمين على سجادته المعدة للصلاة ، مضموم الذراعين فوق صدره ، محركًا شفتيه دونما صوت ، وشاردًا في استغراقٍ عميق ، لقد كان بإمكانك أن ترى أنه كان يصلي بروحه كلها ..... والحق أنه قد أزعجني أن أرى مثل تلك الصلاة العميقة المقترنة بحركات جسمانية آلية ، فسألت « الحاجي » ذات يوم ، وكان يفهم الإنجليزية قليلًا : « هل تعتقد حقًّا أن الله ينتظر منك أن تُظهر له احترامك بتكرار الركوع

والسجود ؟ ألا يكون من الأفضل للمرء أن يخلوَ بنفسه ، وأن يصليَ إلى الله في قلبه ؟ لم حركات جسمك هذه كلها ؟ » ، ولم أكد أنطق بهذه الكلمات حتى شعرت بالندم وتبكيت الضمير ، ذلك أنني لم أكن أنوي أن أجرح شعورَ الشيخ الديني ، ولكنَّ « الحاجي » لم تَبدُ عليه قط أمارات الاستياء ، لقد افترَّ فمه عن ابتسامة ، وأجاب : « بأية طريقة أخرى إذن يجب أن نعبد الله ؟ ألم يخلق الجسد والروح معًا ؟ وإذا كان هذا كذلك ، أفلا يجب أن يصلي الإنسان بجسده كما يصلي بروحه ؟ اسمع سأفهمك لمَ نصلي نحن المسلمين كما نصلي ، إننا نولي وجوهنا نحو الكعبة بيت الله الحرام في مكة ، مدركين أن المسلمين كلهم حيثما كانوا يتجهون نحوها في صلاتهم ، وأننا كجسد واحد ، وأن الله هو محور تفكيرنا جميعًا ، نحن نقف أولًا مستقيمين ، ونقرأ شيئًا من القرآن الكريم ، ذاكرين أنه كلمة الله أنزلها على الإنسان ، كي يكون مستقيمًا راضيًا في الحياة ، ثم نقول – مُذَكِّرين أنفسنا – : إنه ما من أحد يستحق أن يُعْبَدَ إلا هو ، ونركع لأننا نعتبره فوق كل شيء ، ونسبح بعزته ومجده ، وبعد ذلك نسجد على

جباهنا ، لأننا نشعر أننا لسنا إزاءه إلا من العدم والتراب ، وأنه هو الذي خلقنا ، وهو ربنا الأعلى ، نرفع وجوهنا عن الأرض ، ونبقى جالسين داعين إيَّاه أن يغفر ذنوبنا، وأن يتغمدنا برحمته ، ويهدينا الصراط المستقيم ، ويهبنا العافية والرزق ، ثم نسجد ثانية على الأرض ، ونلمس التراب بجباهنا تجاه عزة الواحد الأحد وعظمته ، وبعد ذلك نستوي جالسين ، وندعو الله أن يصلي على النبي محمد ﷺ ، الذي بلَّغنا رسالته ، كما صلى على الأنبياء من قبله ، وأن يباركنا أيضًا وجميع من يتبعون السبيل ، ونسأله أن يهب لنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وفي النهاية ندير رءوسنا إلى اليمين ، وإلى الشمال قائلين : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وبذلك نحيي كل من كانوا صالحين حيثما كانوا .

ثم يقول محمد أسد (ليوبولد فايس – سابقًا –) : وبعد ذلك بسنوات عدة أدركت أن « الحاجي » بتفسيره البسيط قد فتح لي أوَّل باب للدخول في دين الإسلام ، ولكن حتى في ذلك الوقت ، أي : قبل أن يخالجني بزمن طويل ، أيما تفكير في أن الإسلام يمكن أن يصبح دينًا لي ، بدأت أشعر بخضوع غير عادي كلما رأيت – وكثيرًا ما رأيت – رجلًا

يقف عاري القدمين على سجادته المخصصة للصلاة ، أو على حصيرة من قش أو على الأرض العارية ، مضموم الذراعين محني الرأس ، مستغرقًا بالكلية في ذات نفسه ، ناسيًا كل ما يجري حوله، سواء كان ذلك في أحد المساجد ، أو على رصيف أحد الشوارع المكتظة ، رجلًا مطمئنًا إلى نفسه) .

ثم يتكلم – محمد أسد – عن تأثير كلمات الأذان ويقول : (ولما عشت في القاهرة كان مقابل بيتي مسجد صغير ذو مئذنة دقيقة ، منها كان يُدْعَى إلى الصلاة خمس مرات في اليوم الواحد ، فيظهر في أعلى المئذنة رجل متعمم بعمامة بيضاء ، ويرفع يديه ويبدأ بالإنشاد « الله أكبر ... أشهد أن لا إله إلا الله ... أشهد أن محمدًا رسول الله ... حي على الصلاة ... حي على الفلاح » كان صوته ناعمًا قويًا ، قادرًا على أن يصل إلى مسامع الكثيرين ممن كانوا على مبعدة كبيرة ، وكان باستطاعتك أن تدرك أن الغَيرة والحماسة – لا الفن – هما اللتان كانتا تجعلانه على مثل ذلك القدر من الجمال ، لقد كان ترتيل المؤذن هذا ، اللحنَ الدائم الذي كنت أسمعه في الأيام والأمسيات التي قضيتها في

القاهرة ، تمامًا كما كان لحنُ القدسِ القديمة الدائم ، وكما كان مقدرًا له أن يبقى طِيلة أسفاري في الأراضي الإسلامية فيما بعد ، لقد كان له الجَرْسُ نفسهُ في كل مكان ، برغم الفروق في اللهجة والتجويد ، وحدةٌ صوتية ، جعلتني أدرك مقدار الوحدة الباطنية لدى جميع المسلمين من العمق ، ومبلغ الخطوط الفاصلة بينهم من التكلف والتفاهة .

لقد كانوا واحدًا في اعتقادهم ، وواحدًا في طريقة تفكيرهم وتمييزهم بين الحق والباطل ، وواحدًا في فهمهم قوام الحياة الخيِّرة .

ولقد خُيل إليَّ أنني قد صادفت لأول مرة مجتمعًا لم تكن فيه صلة النسب بين الإنسان والإنسان مسببة عن طوارىء من مصالح اقتصادية عنصرية ، بل عن شيء أعمق وأكثر استقرارًا إلى حدٍّ بعيد ، صلة من الفهم المشترك للحياة ، أزالت كل حواجز العزلة والانفراد بين الإنسان والإنسان) اهـ .

لقد عَمَّ التأثر بالأذان والصلاة طوائف البشر حتى الأوساط الفنية التي تؤدى دور الشيطان في إغراء المؤمنين بالفحشاء والمنكر ، ولنر أكبر مركز لهذه الشيطنة على

وجه الأرض ، وأساطينها يدهشون من أثر « الأذان » .

يذكر المستشار محمد عزت الطهطاوي في كتابه « الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين » قصة إسلام المخرج السينمائي العالمي « ركس إنجرام » ويقول : (في سنة ١٩٢٨م فوجئت الأوساط الفنية في « هوليود » وغيرها من أنحاء العالم بنبإٍ أدهش الجميع ، وهو إشهار المخرج السينمائي العالمي : « ركس إنجرام » إسلامه على مشهد من بعض مواطنيه ، ووسط جماعة من أصدقائه المسلمين ، وكان « ركس » من أنجح المخرجين السينمائيين في ذلك الزمن ، بل وربما كان أنجحهم على الإطلاق ، ... وقد وصفت جريدة السياسة الأسبوعية التي صدرت في ١٣ فبراير سنة ١٩٢٨م « ركس إنجرام » وهي تتحدث عن نبأ إسلامه ، بأنه أكبر مخرج سيناتوغرافي في العالم ، وأكبر أقطاب صناعة السينما ... فأسلم هذا القطب السينمائي عقب حادثة هامة ، كان لها أبعد الأثر في حياته ، وهو أنه ذات يوم ، كان يشرف على التقاط مشهد سينمائي يتمثل في قيام شخص عربي مسلم مهيب الطلعة بأداء « الأذان » بخشوع تام.... وهو يؤذن في هذا الجو الغريب بعيدًا عن وطنه ... وترك ذلك المشهد

في نفس « ركس إنجرام » الشفافة المتعطشة صدى تعجز عن وصفه أبلغ الألفاظ ، وأدقُّها تعبيرًا ، وما أن انتهى العربي من أداء الأذان حتى صحبه إلى مكتبه ، وراح يسأله المزيدَ من المعلومات عن أحكام دينه .... حتى أشهر إسلامه على الملأ ، وأقلع تمام الإقلاع عن كل ما أمر الله باجتنابه ، وعاش حياة الزهد والعبادة ، واصطفى بعض المسلمين المقيمين في فرنسا للاستعانة بهم في إرشاده إلى أحكام الدين ، وتهيئة جوٍّ إسلامي خالصٍ في القصر الذي اشتراه ليعيش فيه في مدينة « نيس » التي نفذ إلى قلبه فيها أول قَبَسٍ من نور الإسلام .

***

◘ الفصــل الثانــي ◘

(١) ترك الصلاة كفر

قال الله تعالى في حق المشركين : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فإخوانكم في الدين**﴾ يعني: إن تابوا عن شركهم وكفرهم ، وأقاموا الصلاة معتقدين بوجوبها ، آتين بأركانها ، وآتوا الزكاة المفروضة فإخوانكم في دين الإسلام ، ومفهوم الآية : أن من أصر على شِركه أو على ترك الصلاة أو على ترك الزكاة فليس من إخواننا في دين الإسلام.

وقال رسول الله ﷺ : « **أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا : « لا إلٰه إلا الله » ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله** » . [متفق عليه]

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال رسول الله ﷺ : « **بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة** » [مسلم] ، وقال ﷺ : « **بين الرجل وبين الشرك والكفر**

ترك الصلاة » [مسلم] ، وفي لفظ : « **ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة** » . وقال ﷺ : « **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر** » .

[صحيح]

وعن محجن بن الأدرع الأسلمي أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأذن بالصلاة ، فقام النبيُّ ﷺ ثم رجع ومحجن في مجلسه ، فقال له : « **ما منعك أن تصلي ، ألست برجل مسلم ؟** » قال : « بلى ، ولكني صليت في أهلي » ، فقال له : « **إذا جئت فصلِّ مع الناس ، وإن كنت قد صليت** » . [صحيح]

ومعناه : « لو كنت مسلمًا لصليت » .

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال : « أما إنه لا حَظَّ لأحدٍ في الإسلام أضاع الصلاة » ، وروي عنه بلفظ : « لا حقَّ في الإسلام لمن ترك الصلاة » .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال : « من ترك الصلاة ، فلا دين له » . [حسن]

وعن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة – رضي الله

عنه – : (كان أصحابُ رسول الله ﷺ لا يَرَوْن شيئًا من الأعمال تركُه كفر غيرَ الصلاة)[1]. [صحيح]

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال : (لا إيمانَ لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له) . [صحيح]

---

(١) وقد استقر هذا المعنى في قلوب الصحابة– رضوان الله عليهم– حتى إن نجاة غير المصلي كانت في نظرهم مما يُلْغَزُ به، ويُذكَر على أنه خلاف الأصل ، قال الدينوريّ: (كان أبو هريرة– رضي الله عنه – يقول : « حدِّثوني عن رجلٍ دخل الجنة لم يُصَلِّ قط » !! فيسكت الناس ، فيقول أبو هريرة – رضي الله عنه – : « هو أخو بني عبد الأشهل » ، وهو عمرو بن أُقَيْشٍ – رضي الله عنه – (وكان له ربًا في الجاهلية ، فكره أن يُسلمَ حتى يأخذه ، فجاء يوم أُحُد ، فقال : « أين بنو عمي ؟ » ، قالوا : « بأُحُد » ، قال : « أين فلان ؟ » قالوا : « بأحد » ، قال : « فأين فلان ؟ » قالوا : « بأُحُد » ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ ، وركب فرسه ، ثم توجَّه قِبَلَهم ، فلما رآه المسلمون قالوا : « إليك عنا يا عمرو ! » قال : «إني قد آمنتُ» ، فقاتل حتى جُرِح ، فحُمِلَ إلى أهله جريحًا ، فجاءه سعد بن معاذ – رضي الله عنه – فقال لأخته : « سليه ؛ حميةً لقومك ، أو غضبًا لهم ، أم غضبًا لله عز وجل ؟ » ، فقال : « بل غضبًا لله عز وجل ولرسوله ﷺ » ، فمات ، فدخل الجنة ، **وما صَلَّى لله عز وجل صلاة**) . [حسن]

وقال إبراهيم النخعي : « من ترك الصلاة فقد كفر » ، وقال أيوب : « ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه » .

وقال الإمام أحمد – رحمه الله –: (أخشى ألا يحل للرجل أن يقيم مع امرأة لا تصلي ، ولا تغتسل من الجنابة ، ولا تتعلم القرآن)[1].

قال ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – : (وتارك الصلاة على صحة البدن لا تجوز شهادته ، ولا يحل لمسلم أن يؤاكله ، ولا يزوجه ابنته ، ولا يدخل معه تحت سقف)[2] اهـ .

وبعيدًا عن اختلاف العلماء في نوع هذا الكفر في حق من ترك الصلاة تكاسلًا مع اعتقاده وجوبها ، فإننا نهمس في أذن تارك الصلاة : هل يرضيك أن يكون انتسابك إلى

---

(١) « حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع » (٦/٤٥٧) ، وانظر : « مجموع الفتاوى » (٣٢/٢٧٦ – ٢٧٧) .

(٢) « بحر الدموع » ص (١٨٩) .

ملة الإسلام ، ودين التوحيد ، وأمة محمد ﷺ مسألة هي محل خلاف بين العلماء ، ففريق يقول : « إنك كافر مشرك حلال الدم والمال ، وأنك لا تستحق الحياة بل على ولي أمر المسلمين أن يقتلك ردةً ، وأنه لا يجوز لك أن تتزوج من مسلمة ، ولا تصلح وليًّا شرعيًّا لأولادك ، وأنك لا ترثهم ولا يرثونك ، وأنك لا تُغَسَّل ولا يُصَلَّى عليك ، ولا تدفن في مقابر المسلمين ، وأنك مستحق للخلود في جهنم مع فرعون وهامان وأبي جهل وأبي لهب وسائر أعداء الدين » ، وفريق آخر يقول : « بل أنت فاسق عاصٍ فاجر، يجب قتلك حدًّا إن أصررت على ترك الصلاة ؟ ! » .

يا تاركًا لصلاته إن الصلاة لتشتكي
وتقول في أوقاتها : اللهُ يلعن تاركي

(٢) ترك الصلاة من أكبر الكبائر المُوبقة

(قال محمد بن نصر المروزي : سمعت إسحق يقول : صح عن النبي ﷺ أن تارك الصلاة كافر[1]، وكذلك

(١) انظر تحقيق المراد من هذا الوصف في « الإحسان في تقريب =

كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ أن تارك الصلاة عمدًا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر) .

وقال الإمام ابن حزم – رحمه الله –: (لا ذنب بعد الشرك أعظم من ترك الصلاة حتى يخرج وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق)[1] اهـ .

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى –: (لا يختلف المسلمون أن ترك الصلاة المفروضة عمدًا من أعظم الذنوب ، وأكبر الكبائر ، وأن إثمه عند الله أعظم من إثم قتل النفس ، وأخذ الأموال ، ومن إثم الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وأنه متعرض لعقوبة الله وسخطه وخزيه في الدنيا والآخرة)[2] اهـ ، ومقصوده – رحمه الله – أن هذا الذي ذكره موضع إجماع المسلمين .

وقال الإمام الذهبي – رحمه الله – : (فمؤخِّر الصلاة عن وقتها صاحبُ كبيرة ، وتاركها بالكلية – أعني الصلاة

= صحيح ابن حبان » (٤/٣٠٥ – ٣٢٨) .

(١) « الكبائر » للذهبي ص (٢٦) .

(٢) « الصلاة وحكم تاركها » ص (٣) .

الواحدة – كمن زنى وسرق ، لأن ترك كل صلاة أو تفويتها كبيرة ، فإن فعل ذلك مرات فهو من أهل الكبائر إلا أن يتوب ، فـإن لازَمَ ترك الصلاة فهو من الأخسرين الأشقياء المجرمين)[1] اهـ .

(٣) ترك الصلاة نفاق

قال تعالى : ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُراءون الناسَ ولا يذكرون الله إلا قليلًا** ﴾ أي : أنهم يصلون مراءاة وهم متكاسلون متثاقلون ، لا يرجون ثوابًا ، ولا يعتقدون على تركها عقابًا ، فمن ثَمَّ :

رُوي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : (يكره أن يقوم الرجل إلى الصلاة وهو كسلان[2]، ولكن

---

(١) « الكبائر » ص (٢٨) .

(٢) ولذلك قال ﷺ : « **احضروا الذكر ، وادنوا من الإمام ، فإن الرجل لا يزال يتباعد حتى يؤخَر في الجنة ، وإن دخلها** » . [حسن]

يقوم إليها طَلْقَ الوجه ، عظيم الرغبة ، شديد الفرح ، فإنه يناجي الله ، وإن الله تجاهه يغفر له ، ويجيبه إذا دعاه) .

وقال سبحانه في شأن المنافقين : ﴿ **وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى** ﴾ الآية . قال ابن عباس : « إن كان في جماعة صلى ، وإن انفرد لم يصل » وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثوابًا ، ولا يخشى في تركها عقابًا ، فالنفاق يورث الكسل في العبادة لا محالة ، وإنما يدفعهم إلى الصلاة الرغبة في إرضاء الناس والتظاهر بالإيمان ، فرارًا من الذم ، وسعيًا إلى الكسب والمغنم ، وهم إذا قاموا كسالى إلى الصلاة فلن يؤدوها بخشوع وحضور قلب ، بل وهم شاردون عن الخالق إلى المخلوق ، كما قال تعالى في شأنهم : ﴿ **فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون**[1] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – في تفسير قوله تعالى : ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ : (إما عن وقتها الأول ، فيؤخرونها إلى آخره دائمًا أو غالبًا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها ، =

الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون ﴾ .

وقال ﷺ ذامًّا لمن أخَّر الصلاة : « **تلك صلاة المنافقين** – ثلاثًا – **يجلس أحدهم يرقب الشمس ، حتى إذا كانت بين قَرْنَي الشيطان** – أو : **على قرني الشيطان – قام فنقر أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلًا** ». [رواه مسلم وغيره]

وإذا كان المنافق شر البرية وهو في الصلاة كسلان ، أو مؤخر لها عن وقتها ، فكيف يكون حال من هو شر منه فلا يصلي لله رأسًا ، ولا يعرف السجودُ إلى جبهته سبيلًا ؟!

وقال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – في شأن صلاة الجماعة : (ولقد رأيتنا ، وما يتخلَّف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان يؤتى بالرجل يُهادَى بين الرجلين[1] حتى يُقامَ في الصف) . [رواه مسلم]

= والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها ، وكمل له النفاق العملي) اهـ . (٥٥٤/٤) ، وإذا كان هذا في حق من يضيع وقتها ، فكيف بمن يهجرها كلها ؟!

(١) أي : يمشي بينهما معتمدًا عليهما من ضعفه وتمايله ، وهؤلاء =

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : « كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن » . [صحيح]

وقال ﷺ في موقف المنافقين من صلاة العشاء : « **ولو علم أحدهم أنه يجد عظمًا سمينًا لشهدها** » [رواه مسلم] أي : لو لاح لهم شيء من الدنيا يأخذونه ، وكانوا على يقين منه لبادروا إليه ، فهذا شأنهم ودأبهم : إن قلت : « حَيَّ على الشهوات » ، طاروا إليها خِفافًا وثقالًا ، وإن قلت : « حيَّ على الصلاة » ، قاموا إليها كسالى ، لهم في المعاصي وَثَبات ، وفي الطاعة سكون وثبات .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله ﷺ : « **أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء ، وصلاة الفجر**[1]**، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْوًا ، ولقد**

= المؤمنون الخُلَّص ، عذر الله أبدانهم ، فلم تُطِق قلوبهم .

(١) يُشْعِر الحديث الشريف أن المنافقين ربما شهدوا صلاتي الفجر والعشاء ، وهم يشهدون غيرهما ، فكيف يقصر ظاهر من يدعي الإسلام والإيمان ، ولا يشهد الصلواتِ الخمسَ كلها ، عن ظاهر المنافقين ؟!

همت أن آمر بالصلاة فتقامَ ، ثم آمرَ رجلًا فيُصليَ بالناس ، ثم أنطلقَ معي برجالٍ معهم حِزَمٌ من حطب ، إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرِّقَ عليهم بيوتهم بالنار » [متفق عليه] ، قال القرطبي – رحمه الله : (وذلك لأن صلاة العشاء تأتي وقد أتعبهم عمُل النهار ، فيثقل عليهم القيامُ إليها ، وصلاة الصبح تأتي والنوم أحب إليهم من مفروح به ، ولولا السيف ما قاموا) اهـ .

فما أصدق قول رسول الله ﷺ في حقهم : « **إن الله يُبغض كل جعظري[1] جوَّاظ[2]، سخاب في الأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم بأمر الدنيا ، جاهل بأمر الآخرة » .** [صحيح]

فالمنافقون خُشُب بالليل ، سُخُب بالنهار ، إذا جنَّ عليهم الليل سقطوا نيامًا كأنهم خشب ، لا يذكرون الله تعالى ولا يصلون ، فإذا أصبحوا تساخبوا[3] على الدنيا شحًّا

---

(١) الجعظري : الفَظُّ ، الغليظ ، المتكبر .
(٢) الجواظ : الجَموع ، المنوع .
(٣) تساخبوا : كثر صخبهم وسخبهم ، وهو الصياح والضجيج .

وحرصًا ، ولهذا قال في حق الواحد منهم : « **جيفة بالليل ، حمار بالنهار** » أي : أنه كالجيفة ، لأنه يعمل طوال النهار لدنياه ، وينام طول الليل كالجيفة التي لا تتحرك ، ولذلك قال قتادة : (كان يقال : « **ما سهر الليلَ منافق** ») .

وعندما يحاول المنافقون مشاركة المؤمنين في سجودهم لربهم يوم القيامة يُحال بينهم وبين هذا التكريم ، وتصبح ظهورهم كصياصي البقر ، لا يستطيعون الانحناء ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خر على قفاه ، فيبوءون بالذل والخزي والهوان ، قال تعالى : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويُدْعَوْنَ إلى السجود فلا يستطيعون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يُدْعَوْنَ إلى السجود وهم سالمون** ﴾ .

(٤) تـرك الصـلاة
سواد ، وظلمة ، وهلكة في الدنيا والآخرة

ترك الصلاة يظلم القلب ، ويسوِّد الوجه ، وذلك لأن الطاعة نور ، والمعصية ظلمة ، وكلما قويت الظلمة ازدادت

الحيرة حتى يقع تاركها في الضلالات وهو لا يشعر ، كأعمى خرج في ظلمةٍ وحده ، وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين ، ثم حتى تعلو الوجه ، فيصير سوادًا يدركه أهل البصائر ، وتحصل حين ذلك الوحشة بينه وبين الناس سيما أهل الخير ، فيجد وحشة بينه وبينهم ، وكلما قويت تلك الوحشة بَعُدَ منهم ، وحُرِمَ بركة النفع بهم ، وقَرُب من حزب الشيطان بقدر ما بَعُد من حزب الرحمٰن[1] ، إلى أن ينتهي به الحال في المآل إلى أن يقترن بصحبة السوء ، وعصبة الأشرار يوم العرض على الملك الجبار ﴿ **أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون** ﴾ .

عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « **من حافظ على الصلاة كانت له نورًا وبرهانًا يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة يوم القيامة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون ، وهامان ، وأُبي بن خلف** » . [صحيح]

---

(١) انظر « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » ص (٤٩) .

قال بعض أهل العلم : (وإنما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة لأنه إنما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه ، أو بوزارته ، أو بتجارته : فإن اشتغل بماله حُشِر مع قارون ، وإن اشتغل بملكه حشر مع فرعون ، وإن اشتغل بوزارته حشر مع هامان ، وإن اشتغل بتجارته حشر مع أُبَيِّ بن خلف تاجر الكفار بمكة)[1].

فما أنقص عقل من باع مرافقة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، بمرافقة الذين غضب الله عليهم ، ولعنهم ، وأَعَدَّ لهم جهنم وساءت مصيرًا .

(٥) ترك الصلاة من أسباب سوء الخاتمة

قال الإمام أبو محمد عبد الحق - رحمه الله -:

(اعلم أن سوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - لا تكون لمن استقام ظاهره ، وصلح باطنه ، ما سُمع بهذا ، ولا عُلم به - والحمد لله - وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل ،

(١) انظر « الصلاة وحكم تاركها » ص (٢٢) .

أو إصرار على الكبائر ، وإقدام على العظائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة ، فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة ، ويختطفه عند تلك الدهشة – والعياذ بالله ، ثم العياذ بالله – أو يكون ممن كان مستقيمًا ، ثم يتغير عن حاله ، ويخرج عن سَنَنه ، ويأخذ في طريقه ، فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته ، وشؤم عاقبته ..)[1] اهـ .

وقد قال ﷺ : « **إنما الأعمال بالخواتيم** » .

[رواه البخاري]

وقال ﷺ : « **يُبعث كل عبدٍ على ما مات عليه** » .

[رواه مسلم]

وإذا كان الذي يصلي لكنه يسيء صلاته متوعَّدًا بسوء الخاتمة فكيف بمن يهجر الصلاة بالمرة ؟! (رأى رسول الله – ﷺ – رجلًا لا يتم ركوعه ، وينقر في سجوده وهو يصلي ، فقال : « **لو مات هذا على حاله هذه ، مات على غير ملة محمد ﷺ** ») . [حسن]

---

(١) « التذكرة » للقرطبي ص (٥٣) .

وكم شاهد الناس من أحوال المحتضَرين من تاركي الصلاة عِبَرًا ، والذي يخفى عليهم أعظم وأعظم ، وكيف يُوَفَّق لحسن الخاتمة مَنْ أغفل اللهُ قلبه عن ذكره ، واتَّبَعَ هواه ، وكان أمره فُرُطًا ، وكيف لا تسوء خاتمته وهو مضيع للصلاة ، مُصِرٌّ على تركها ما عاش وإلى أن يغرغر ؟!

(٦) ترك الصلاة من أسباب عذاب القبر

قال تبارك وتعالى : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا** ﴾ الآية ، وقد فُسِّرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ، ولا ريب أن عذاب القبر من المعيشة الضنك التي يعانيها المعرض عن الله في الدنيا ، وفي البرزخ ، ويوم المعاد ، قال ابن القيم – رحمه الله –: (ولا تظن أن قوله تعالى : ﴿ **إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم** ﴾ يختص بيوم المعاد فقط ، بل هؤلاء في نعيم في دُورهم الثلاثة ، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة)[1] اهـ .

وتارك الصلاة عامل بعمل الفجار أهل النار ، فإن لم

---

(١) « الجواب الكافي » ص (١٠٧) .

يتداركه الله بتوبة نصوح ، فإنه تسوء خاتمته – عياذًا بالله من ذلك – ثم يصحبه عمله السيء إلى داخل قبره ، فقد قال ﷺ في شأن الفاجر بعد دفنه : « **ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بما يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت تُوعد ، فيقول : وأنت فبشرك الله بالشر ، من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث** » الحديث ، [صحيح] فيبقى في عذاب أليم ممتدٍّ إلى يوم القيامة : فعن سَمُرة بن جندب – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « **رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي** » الحديث ، وفيه : « .. **وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه**[1]، **فيتدهده**[2] **الحَجَرُ هاهنا ، فيتبع الحجر ، فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى** » الحديث ،

---

(١) يَثْلَغُ رأسه :أي: يشدخه ، ويشقه .

(٢) يتدهده : يتدحرج ، والمقصود أنه يدفعه من علو إلى سفل .

وفيه أن المَلَكين فسَّرا له ﷺ ما رأى : « **أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يُثْلَغُ رأسُه بالحَجَر ، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة** » وفي رواية : « **فيُفعل به إلى يوم القيامة** » .

(٧) تركُ الصلاة شعارُ أصحابِ سَقَر

﴿ **وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر** ﴾ ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين** ﴾ .

فتاركو الصلاة في سقر .

والمستكبرون عن الركوع لله عز وجل ، والمستهترون بمواقيت الصلاة لهم الويل ، قال سبحانه : ﴿ **وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويل يومئذ للمكذبين** ﴾، وقال تعالى: ﴿ **فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ .

والمضيعون الصلاة المفرطون فيها لهم الغي ، قال عز وجل : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا** ﴾ .

فيا تارك الصلاة : أليس إقامة خمس صلوات في اليوم والليلة لها من الفضائل ما لا يُحصى ، أهون من شرب الصديد ، ومقطعات الحديد ، ومعاناة العذاب الشديد ؟!

(٨) تركُ الصلاةِ سَببُ الغَرق في الشهوات

هناك تلازمٌ بين إضاعة الصلاة ، وبين الغرق في الشهوات ، والتلوث بالخطيئات ، وقد أخبر تعالى عن قوم أضاعوا الصلاة بعد أن كان آباؤهم المهديون المجتَبَوْنَ متمسكين بها ، محافظين عليها ، متقربين إلى الله بها ، فقال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا** ﴾ ، فكل من أضاع الصلاة لا بد أن تستعبده الشهوات ؛ لأن من عقوبة السيئة السيئَة بعدها ، ولأن من ضيَّع الصلاة فهو لما سواها أضيع .

قال الإمام البيهقي - رحمه الله - : (فَذَكَرَ الأنبياءَ

والمتقدمين ومَدَحَهم بأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آيات الرحمٰن خروا سُجَّدًا وبُكيًّا ، ثم ذكر مَن خالف مذهبهم ، فذمهم ، فقال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خَلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات** ﴾ ثم أخبر بما يؤديهم ذلك إليه من سوء العاقبة ، فقال : ﴿ **فسوف يلقون غيًّا** ﴾ يعني – والله أعلم –: لا يَرْشُدُ أمرهم مع إضاعة الصلاة ، ولكنهم يعودون ، فلا يزالون يقعون في فساد بعد فساد كمن يضل الطريق ، فلا يزال يقع في مهلكة بعد مهلكة إلى أن يُنْقَطَعَ به فيفسد ، فدل ذلك على عظم قدر الصلاة ، وجلال موقعها من العبادات ، والله أعلم)[1] اهـ .

وكما أن من ثمرات الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء والمنكر ينهيان عن الصلاة ، وفي طليعة « الفحشاء والمنكر » يأتي الخمر والقمار اللذان يستعبدان الإنسان لرغائبه وشهواته ، وينهيانه عن الصلاة ، قال تعالى : ﴿ **إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدَّكم عن ذكر الله وعن**

---

(١) « شعب الإيمان » (٣/٣٦) .

الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ ، ولأجل ذلك عظمت مصيبة تارك الصلاة بسبب السُّكْرِ ، وتضاعفت عقوبتُه :

فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **من ترك الصلاة سُكْرًا مرة واحدة ، فكأنما كانت له الدنيا وما عليها فَسُلِبَها ، ومن ترك الصلاة سُكْرًا أربع مرات كان حقًّا على الله عز وجل أن يسقيه من طينة الخبال** » قيل : وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ ، قال : « **عصارة أهل جهنم** » .

[صحيح]

(٩) تركُ الصلاةِ مصيبةٌ وبلاء

عن نوفل بن معاوية – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « **من فاتته الصلاة ، فكأنما وُتِرَ**[١] **أهله وماله** » ،

[صحيح]

---

(١) أي : أصيب بأهله وماله ، ومثله قوله تعالى : ﴿ **ولن يتركم أعمالكم** ﴾ ، وقال الخطابي : (ومعنى « وُتِر » أي : نُقِص وسُلب ، فبقي وترًا بلا أهل ولا مال ، يريد : فليكن حذره من فَوْتها كحذره من ذَهاب أهله وماله) اهـ .

وفي لفظٍ عند عبد الرزاق : « **لأن يوتر أحدكم أهله وماله خير له من أن يفوته وقت صلاة** » .

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : « **الذي تفوته صلاةُ العصر ، فكأنما وُتر أهلَه وماله** » . [متفق عليه].

والموتور : من أُخِذ أهلُه ومالُه ، وهو ينظر إليه ، وذلك أشدُّ لِغَمِّه ، ومن فاتته الصلاة أشبهه لاجتماع غَمّ الإثم ، وغم فقْدِ الثوابِ ، كما يجتمع على الموتور غمان : غم السلب ، وغم الطلب بالثأر .

وعن بريدة – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من ترك صلاة العصر حَبِط عملُه** » .

[رواه البخاري]

وقد توعد الله عز وجل من أعرض عن ذكره فقال سبحانه : ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ فلْيبشر تارك الصلاة بمحاربة الله إياه ، بتنغيص عيشه ، وتكدير قلبه ، وتشتيت همه ، وتفريق شمله ، وحضور فقره ، وفساد أحواله ،

ولَعذابُ الآخرة أشد وأخزى .

وقد ترى تارك الصلاة الأثيم رائحًا غاديًا لا يُحس بعِظَم وِزره ، وشناعة فِعله ، ولا يشعر بعقوبة الله إياه ، « وما لجرح بميت إيلام » ، فاعلم أن أشد العقوبات ما خفي ودقَّ ؛ لأن صاحبه يغفل عن مصابه ، لأنه بمنزلة السكران والمخدَّر الذي لا يشعر بالألم ، فلا يسعى في خلاص نفسه ، قال تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسُوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **نسوا الله فنسيهم** ﴾[1] فلم يوفقهم إلى التوبة ، لِمَا سلَّط الله على قلوبهم من الغفلة التي تزهدهم في طاعة الله عز وجل .

عن أبي هريرة وابن عمر – رضي الله عنهم – أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره : « **لَينتَهين أقوام عن وَدْعهم الجمعات أو ليختمنَّ اللَّهُ على قلوبهم ، ثم لَيكونُنَّ من الغافلين** » [مسلم] ، فيسعى في صلاح دنياه ، ولو خَرَّب أُخراه ، وهو يحسب أنه يحسن صنعًا .

---

(١) انظر : « الجواب الكافي » ص (٩٢) (فصل : ومن عقوباتها أنها تنسي العبد نفسه ...) إلخ .

قال الحسن في أهل الدنيا : « بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم ، فيخبرك بوزنه ، ولا يُحسن أن يصلي » ، وقال أبو بكر بن عياش : (مسكين محب الدنيا : يسقط منه درهم ، فيظل نهارَه يقول : « إنا لله ، وإنا إليه راجعون » ، وينقص عُمُره ودينُه ، ولا يحزن عليه) .

ومِنَ البَلِيَّة أَنْ تَرَى لك صاحبًا في صورة الرجلِ السميعِ المبصرِ
فَطِنٌ بِكلِّ مصيبةٍ في مَالِهِ وإذا يُصابُ بِدينه لم يَشعرِ

وكان من دعاء النبي ﷺ : « **ولا تجعل مصيبتَنا في ديننا** » [حسن]

من كل شيء إذا ضَيَّعْتَه عِوَض وما مِنَ الله – إن ضَيَّعْتَهُ – عِوَضُ

فمِن كل شيء يفوتُ العبدَ عوض ، وإذا فاته الله لم يُعَوِّضْ عنه شيء البتة .

ويُروى في الأثر الإلٰهي : « **ابنَ آدم ! خلقتك لعبادتي فلا تلعب ، وتكفَّلت برزقك فلا تتعب ، ابنَ آدم ! اطلبني تجدني ، فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فُتُّك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء** » .

(١٠) تركُ الصلاةِ سببُ استحواذِ الشيطان على العبد

قال الله تعالى : ﴿ **ومَن يَعْشُ عن ذكر الرحمٰن نقيضْ له شيطانًا فهو له قرين * وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بُعْدَ المشرقين فبئس القرين * ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون** ﴾ .

فمن يضيع الصلاة ، يضيعه الله ، ويخذله ، ويعاقبه بأن يقيض له شيطانًا يقارنه ، فلا يفارقه ، لا في الإقامة ولا في المسير ، وهو مولاه وعشيرته ، بئس المولى ، وبئس العشير ، فيتخذ قلبَه المريض وطنًا ، ويُعده مَسكنًا ، إذا تصبَّح بطلعته حيَّاه ، وقال : « فُديت من قرين لا يفلح في دنياه ولا في أخراه » :

قَرينُك في الدنيا وفي الحَشْرِ بَعْدَها ... فأنت قرينٌ لي بكلِّ مكانِ

فإن كنتَ في دارِ الشقاءِ فإنني ... وأنت جميعًا في شَقَا وهوانِ

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال رسول الله

ﷺ : « **ما من ثلاثةٍ في قرية ، ولا بدوٍ ، لا تُقام فيهم الصلاة ، إلا استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب القاصية** » . [حسن]

فقد بَيَّن ﷺ أن الشيطان ذئب الإنسان وهو أعدى عدوٍّ له ، وكما أن الطائر كلما علا بَعُد عن الآفات ، وكلما نزل احتوشته الآفات ، فكذلك الشاة كلما كانت أقرب من الراعي كانت أسلم من الذئب ، وكلما بعدت عن الراعي كانت أقرب إلى الهلاك ، فأحمى ما تكون الشاة إذا قربت من الراعي ، وإنما يأخذ الذئبُ القاصي من الغنم ، وهي أبعدهن من الراعي .

قال بعض السلف : (رأيت العبد مُلْقًى بين الله سبحانه وبين الشيطان ، فإن أعرض الله عنه تولَّاه الشيطان ، وإن تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان) .

وبيَّن ﷺ مظهرًا من مظاهر كيد الشيطان لصد المؤمن عن ذكر الله وعن الصلاة ، ودلنا على ما يحبط هذا الكيد ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا**

هو نام ثلاثَ عُقَدٍ[1]**، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ ، فذكر الله تعالى ،انحلَّت عُقدة ، فإن توضأ ، انحلَّت عقدة ، فإن صلَّى انحلت عُقَدُه كلها ، فأصبح نشيطًا طَيِّبَ النفس ، وإلا أصبح خبيثَ النفس كسلانَ** » . [متفق عليه]

والذي ينام عن الصلاة قد استسلم لعُقد الشيطان ووسوسته ، حتى صار عدوُّه مستحوذًا على نفسه ، مسيطرًا عليه ، عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : (ذُكر عند النبي ﷺ رجل ، فقيل : مازال نائمًا حتى أصبح ، ما قام إلى الصلاة ، فقال : « **بال الشيطان في أذنه** » [رواه البخاري] ، وفي رواية ابن حبان : « **نام عن الفريضة** ») .

معناه : أن الشيطان استحوذ عليه واستخف به ، حتى

(١) ومعناه : سِحرُه الإنسان ، ومنعه من القيام ، كما يعقد الساحر من سحره ، قال تعالى : ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾ ، فالذي خُذِل يعمل فيه ، والذي وُفِّق يُصرف عنه ، ومما يؤيده قوله ﷺ في رواية جابر : « **ما من ذكر ولا أنثى إلا على رأسه جرير** – أي : حبل – **معقود حين يرقد بالليل** » الحديث .

اتخذه كالكنيف المُعَدِّ للبول ، إذ من عادة المستخِفِّ بالشيء أن يبولَ عليه .

(١١) تركُ الصلاةِ خيانةٌ للأمانةِ

قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ والمعاصي كلها – وفي مقدمتها ترك الصلاة – خيانة لله عز وجل .

وقال سبحانه : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ الآية .

وقال جل وعلا : ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلومًا جهولًا** ﴾ ، وقال تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ .

والأمانة– من حيث المعنى– أوسع من مجرد حفظ الودائع، فهي التكاليف الشرعية التي ائتَمن اللَّهُ عباده عليها ، وأمرهم بها ، بحيث إذا فعلوها أثيبوا ، وإن تركوها عوقبوا ، قال أبو العالية : « الأمانة : ما أُمِروا به ، أو نُهوا عنه » .

والصلاة من أعظم الأمانات التي كلفنا الله حفظها ، فمن ضيَّعها فقد خان الله عز وجل ، ونقض عهده : **﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا ﴾** ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له** » [صحيح] ، وكان ﷺ إذا ودَّع رجلًا قال : « **أستودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك** » [صحيح] ، وذلك لأن السفر مظنةُ المشقة ، فربما كانت سببًا للتقصير والإخلال .

(١٢) تركُ الصلاةِ جنايةٌ على الأنبياء ، والملائكة ، وسائر عباد الله الصالحين

لأنه يجب عليه في التشهد أن يقول : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » قال ﷺ : « **إذا قالها بَلَغتْ كُلَّ عبدٍ لله صالحٍ في السماء والأرض** » [متفق عليه] ، فإذا ترك الصلاة ، عطَّل هذه التحية الطيبة عن أن تبلغ أولياء الله الصالحين .

(١٣) تركُ الصلاةِ تَعرُّضٌ لعقوبةِ اللّهِ في الدارين

فقد رُوي عن معاذ – رضي الله عنه – قال : أوصاني رسول الله ﷺ فقال : « **لا تُشْرِكْ بالله شيئًا ، وإن قُتلت ، وحُرِّقت ، ولا تَعُقَّنَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدًا ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدًا فقد برئت منه ذمة الله** » الحديث . [حسن لغيره]

أي : أنه لا يبقى في أمنٍ منَ الله تعالى في الدنيا باستحقاق التعزير والملامة ، وفي العقبى باستحقاق العقوبة ، قال ابن حجر : (كناية عن سقوط احترامه ، لأنه بذلك الترك عَرَّض نفسه للعقوبة بالحبس عند جماعة من العلماء ، ولقتله حدًّا لا كفرًا بشرط إخراجها عن وقتها الضروري ، وأمرِه بها في الوقت عند أئمتنا ، ولقتله كفرًا ، فلا يُصَلَّى عليه ، ولا يُدفن بمقابر المسلمين عند أحمد وآخرين) اهـ[1].

❋ ❋ ❋

(١) « مرقاة المفاتيح » (١/١١١) .

وبعد :

فيا تارك الصلاة!

إلى متى يدعوك مولاك ، وأنت معرض لا تجيب ؟!

كم يتقرب إليك بإحسانه ، وأنت تبارزه بعصيانك ، وعليك منه رقيب ؟!

بادر بالتوبة إلى بابه ، ولُذْ بجَنابه ، فهو منك قريب .

عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال : (بينا نحن مع رسول الله ﷺ إذ بَصُرَ بجماعة ، فقال : « **على ما اجتمع هؤلاء؟** » قيل : على قبر يحفرونه، ففزع رسول الله ﷺ ، فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر ، فجثا عليه ، قال : فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع ، فبكى حتى بلَّ الثرى من دموعه ، ثم أقبل علينا فقال : « **أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا** ») .

[حسن]

***

الفصل الثالث

تنبيهات ووصايا

تمس الحاجة إليها

(١) بادر إلى التفقه في الدين

قال رسول الله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » [حسن] ، وهو العلم الذي تؤدَّى به الواجبات ، وقال ﷺ : « **من يرد الله به خيرًا ، يفقهه في الدين** » [متفق عليه] ، فبادر أخي المسلم إلى تعلم فقه الدين ، سيما الصلاة كي تصح عبادتك ، وقد قال ﷺ : « **صلوا كما رأيتموني أصلي** » [رواه الشيخان] ، ولن تعرف هديه ﷺ في الصلاة إلا بسؤال العلماء، أو بمطالعة كتب العلم الشريف خاصة التي تُلَخِّص أحكام الطهارة والصلاة بأسلوب سهل شيق ككتاب « صفة صلاة النبي ﷺ »[1] .

---

(١) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني حفظه الله .

(٢) التناصح في أمر الصلاة

لما كان « **الدين النصيحة** » كما قال رسول الله ﷺ ، ولما كانت منزلة الصلاة في الدين ما بيَّنا ، فإن واجب المسلم إذا رأى من يقَصِّر في صلاته ، ويُخِلُّ بها أن ينصحه ويعلمه ، كما فعل النبي ﷺ مع المسيء صلاته ، حيث قال له : « **ارجع فصل ، فإنك لم تصل** » ، فرجع ، ففعل ذلك ثلاث مرات ، فقال : والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني . الحديث ، [متفق عليه] ، وفيه أنه ﷺ علمه واجبات الصلاة .

وقال ميمون بن مهران : « مثل الذي يرى الرجل يسيء في صلاته ، فلا ينهاه ، مثل الذي يرى النائم تنهشه حية ، ثم لا يوقظه » ، ويُنسب إلى الإمام أحمد – رحمه الله – أنه قال : « واعلموا أنه لو أن رجلًا أحسن الصلاة ، فأتمها وأحكمها ، ثم نظر إلى من أساء في صلاته وضيَّعها ، وسبق الإمامَ فيها ، فسكت عنه ، ولم يعلِّمه إساءته في صلاته

ومسابقته الإمام فيها ، ولم ينهه عن ذلك ، ولم ينصحه ، شاركه في وزرها وعارها ، فالمحسن في صلاته ، شريك المسيء في إساءته ، إذا لم ينهه ، ولم ينصحه » .

وقال ابن كثير : (إن الحجاج بن يوسف صلَّى مرة بجنب سعيد بن المسيِّب ، وذلك قبل أن يليَ شيئًا ، فجعل يرفع قبل الإمام ، ويقع قبله في السجود ، فلما سلَّم أخذ سعيد بطرف ردائه ، وكان له ذِكر يقوله بعد الصلاة ، فما زال الحجاجُ ينازعه رداءه ، حتى قضى سعيدٌ ذِكره ، ثم أقبل عليه سعيد ، فقال له : « يا سارق ! يا خائن ! تصلي هذه الصلاة ؟! لقد هممت أن أضرب بهذا النعل وجهك » ، فلم يرد عليه ، ثم مضى الحجاج إلى الحج ، ثم رجع ، فعاد إلى الشام ، ثم جاء نائبًا على الحجاز ، فلما قتل ابن الزبير ، كرَّ راجعًا إلى المدينة ، نائبًا عليها ، (فلما دخل المسجد ، إذا مجلس سعيد بن المسيِّب ، فقصده الحجاج ، فخشي الناس على سعيد منه ، فجاء حتى جلس بين يديه ، قال له : « أنت صاحب الكلمات ؟ » ، فضرب سعيد صدره بيده ، وقال : « نعم ! » ، قال :

« فجزاك الله من معلِّمٍ ومؤدب خيرًا ، ما صليت بعدك صلاة إلا وأنا أذكر قولك » ، ثم قام ومضى)[1].

وإنك إذا استحضرت أن جناية الذي يسرق صلاته ، ولا يطمئن فيها جناية متعدية على من تحت ولايته ، لأشفقت على نفسك من مغبة تقصيرك في نصيحته ، فإنه إذا فسد القَوَّام ، عمَّ الفساد جميع الأقوام ؛ عن فضيل بن عياض قال : (رأى مالك بن دينار رجلًا يسيء صلاته ، فقال : « ما أرحمني بعياله ! » ، فقيل له : « يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته ، وترحم عياله ؟! » قال : « إنه كبيرهم ، ومنه يتعلمون ») .

(٣) المحافظة على الصلاة في أول وقتها

قال تعالى : ﴿ **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا** ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : « **أفضل الأعمال الصلاة على وقتها** » [متفق عليه] ، وكل نص في القرآن والسنة على « إقامة » الصلاة فإنما يُعنى به في المقام الأول

---

(١) « البداية والنهاية » (٩/١١٩ - ١٢٠) .

المحافظة على الصلاة في وقتها .

وقال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا** ﴾ الآية .

قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى –: « لم تكن إضاعتها تركها ، ولكن أضاعوا الوقت » ، وقال مسروق – رحمه الله – : « لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافين ، وفي إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن : إضاعتهن عن وقتهن » .

وقال تعالى : ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ الآيات ، قال سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – : « سَهَوا عنها حتى ضاع الوقت » ، فهذا مصلٍّ من أهل الصلاة ، يتطلع بصلاته إلى النجاة من الويل ، لكن لما فرَّط في وقتها ، استحق الويل .

(٤) المحافظة على صلاة الفجر في جماعة في المسجد

إذا أردت أن تقيس مدى تفريطنا معشر المسلمين في جنب الله – عز وجل –، وتعدِينا حدوده ، فانظر إلى الصفوف في صلاة الفجر خاوية، إلا قليلًا ممن رحم الله، وتَمثَّل قوله تعالى : ﴿ **يا حسرة على العباد** ﴾، فكأن فريضة الفجر

على غيرنا كُتبت ، وكأن صلاة الفجر في حقنا نُسخت ، بل القلوب قست ، والعيون جمدت ، والهمم همدت .

لقد صار المصلون بالنسبة إلى جملة المنتسبين إلى الإسلام قليلًا ، والذين يشهدون صلاة الجماعة من هؤلاء أقل ، والذين يشهدون صلاة الفجر في المسجد أقل ، بل الذين يصلونها فرادى في بيوتهم أقل ، فيا لله ! ماذا أصاب أهل الإسلام ؟! وماذا دهى أمة خير الأنام ؟!

أليس من عدل الله فينا أن سلط علينا بذنوبنا من لا يخافه ولا يرحمنا ؟ وهل تمنِّينا العزة والنصر والتمكين وحالنا كما وصفتُ إلا من الاغترار بربنا الكريم ؟!

وهل تنشأ يقظة عن غفلة ؟ أو نهضة عن رقود ؟ أو حركة وجهاد عن جمود وخمود ؟

أو حياة من موت ؟ أو انتباه وانتعاش من قساوة وفتور ؟ ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ ، إن الطريق إلى الفلاح والتمكين يبدأ من المحراب ، وعلينا أن نبادر بالمصالحة مع الله ، والإنابة إليه ، قبل أن ينزل بنا سخطه ، ويحل علينا غضبه ، ولات حين مناص :

بذُنوبنا دامَت بَلِيَّتنا   واللَّهُ يكشفُها إذا تُبنا

فكيف نتوب من هذه المعصية الكبيرة : التفريط في صلاة الفجر ؟

(٥) أسباب المحافظة على صلاة الفجر

الأول : التفتيش عن أمراض القلب ، وتشخيصها ، والاجتهاد في علاجها بما أمكن من الأدوية ، لأن القلب إذا صلح ، صلح الجسد كله ، فهو القائد الذي إذا استقام استقامت جنوده من الجوارح والأركان ، رُوى عنه ﷺ أنه قال : « **لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه** » الحديث ، وشجرة الإيمان في القلب يرويها القرآن الكريم ، ويسقيها ذكر الله سبحانه ، ويقيمها على ساقها حفظ حدود الله عز وجل ، وتعظيم أمره ونهيه .

الثاني : مطالعة الآيات والأحاديث في الترغيب في المحافظة على الصلاة عمومًا ، وصلاة الفجر خصوصًا ، وقد تقدم ذكر جملة صالحة منها ، وهاك بعضها :

قال تبارك وتعالى : ﴿ **وقرآن الفجر إن قرآنَ الفجر كان مشهودًا** ﴾ والمقصود أن صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل

وملائكة النهار ، وقال رسول الله ﷺ : « **بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة** » ، وهو النور الذي يحيط بهم من كل الجهات عطاءً حسابًا .

وقال ﷺ : « **لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** » [رواه مسلم] ، وقال ﷺ : « **من صلى البَردين دخل الجنة** » [متفق عليه] ، وقال ﷺ : « **من صلى الصبح فهو في ذمة الله ، فانظر يا ابن آدم لا يطلبنك الله من ذمته بشيء** » وفي رواية : « **فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم** » [رواه مسلم] ، فتأمل هذا الوعد بالحفظ والكلاءة لمن يصلي الفجر ، وهذا الوعيد لمن يتعدى عليه أو يؤذيه .

ولما كانت صلاتا الفجر والعصر من أفضل الصلوات ، وأعظم الطاعات ، ناسب أن يجازَى المحافظ عليهما بأفضل العطايا والهبات ، ألا وهي رؤية الله -- عز وجل - في الجنة ، قال ﷺ : « **أما إنكم ستَرَون ربَّكم كما ترون القمر ، لا**

تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا[1] على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، فافعلوا ، ثم قال : ﴿ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ﴾ » . [متفق عليه]

وإذا كان ثواب نافلة الفجر « خيرًا من الدنيا وما فيها » ، فكيف بفريضته ؟ .

❋ فمن أجل ذلك كله ، ومن أجل أن المؤمن تمس حاجته إلى مزيد التنبيه للاستيقاظ لصلاة الفجر ، للتغلب على وسوسة الشيطان ، وتسويل النفس الأمارة بالسوء ، شُرع الأذان الأول قبل دخول وقت الفجر ، وزيد فيه هذه العبارة الوجيزة الحاسمة التي تسري في قَلب المؤمن سريان

---

(١) في هذا التعبير إشارة إلى أهمية الأخذ بالأسباب الكفيلة بالاستيقاظ للصلاة ، وهكذا فعل رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر ، سار ليلة حتى إذا أدركه الكرى ، وعرَّس (أي نزل في آخر الليل للنوم والراحة) قال للصحابة : « **احفظوا علينا صلاتنا** » بل إنه عيَّن بلالًا ، وقال له : « **اكلأ لنا الليل** » ، فصلى بلال ما قدِّر له ، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه ، فلما تقارب الفجر ، استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر – أي : موضع طلوعه – فغلبت بلالًا عيناه، =

الكهرباء، فيطرد النوم، ويهب للصلاة : « **الصلاة خير من**

= وهو مستند إلى راحلته ، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس .. » الحديث رواه مسلم ، فمثل هذا النوم الذي يغلب الإنسان رغم بذله وسعه في تحصيل أسباب الاستيقاظ هو الذي يقال فيه ما قال رسول الله ﷺ في نفس الحادثة : « **أما إنه ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط على من لم يُصلِّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى** » فمن كانت عادته القيام إلى الصلاة ، فغلبته عيناه فنام، فإنه يكتب له أجر صلاته، ونومُه عليه صدقة.

أما الذي ينتبه وقت الصلاة ثم يعود للنوم حتى يضيع وقتها ، وأما الذي يتمادى في ذلك التفريط حتى يصبح ديدنه وعادته ، ولا يأخذ بأسباب الاستيقاظ لها ، فهو متعرض لما ثبت في البخاري من أنه ﷺ رأى في رؤياه : (رجلًا مستلقيًا على قفاه ، وآخر قائمًا عليه بصخرة يهوي بها على رأسه ، فيشدخ رأسه ، فيتدحرج الحجر ، فإذا ذهب ليأخذه فلا يرجع إليه حتى يعود رأسه كما كان ، فيفعل به مثل ما فعل به في المرة الأولى) ، وقد فسر له جبريل وميكال ما رآه بأنه : (**الرجل يأخذ القرآن ، فيرفضه ، وينام عن الصلاة المكتوبة**) ، قال ابن العربي رحمه الله : « جعلت العقوبة في رأس هذا النائم عن الصلاة ، والنوم موضعه الرأس » اهـ .

النوم » ، أي أن لذة الصلاة خير عند أرباب الذوق ، وأصحاب الشوق ، من لذة النوم ، أما من سمعها ، ولم تعمل في قلبه ، فآثر لذة الدنيا على نعيم الآخرة ، فإنه يعاقب بأن يبول الشيطان في أذنيه، ويصبح خبيث النفس كسلان .

الثالث: المسارعة إلى النوم أول الليل بعد أن يصلي العشاء ، وسنته البعدية ، والوتر أخذًا بالعزيمة ، وأن يتجنب السمر ، فقد كان رسول الله ﷺ : « **يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها** » . [رواه البخاري]

وله أن يسمر في مذاكرة علم ، أو محادثة ضيف ، أو مؤانسة أهلٍ إذا كان عنده من يوقظه ، أو عَرَفَ من عادته أنه يستيقظ ، ولا يسمر إذا غلب على ظنه أنه يضيع الصلاة ، بل لا يسهر في قيام الليل سهرًا يضر بشهود صلاة الفجر ، وفي الحديث القدسي : « **ما تقرب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضته عليه** » [رواه البخاري] .

عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمة أن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح ، وأن عمر بن الخطاب غدا إلى السوق ، ومسكن سليمان بين السوق والمسجد النبوي ، فمرَّ على الشِّفاء أمِّ سليمان ،

فقال لها : « لم أر سليمان في الصبح » ، فقالت : « إنه بات يصلي ، فغلبته عيناه » ، فقال عمر : « لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحبُّ إليَّ من أن أقوم ليلة » .

[رواه مالك في « الموطأ »]

✸ ومن سهر سهرًا شديدًا ، وصلى الفجر مرهقًا ، فإنه يتعرض لمشابهة المنافقين الذين ﴿ لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾ .

✸ ويتجنب استقبال الضيوف الذين لا يبالون بتضييع صلاة الفجر ، ويؤثمونه بالإفراط في السهر والسمر ، قال الشعبي رحمه الله : « من فاتته ركعتا الفجر ، فليلعن الثقلاء » .

الرابع : أن يقتني بعض الأجهزة الحديثة التي تنبه النائم وتوقظه ، كالساعات المنبهة ، والخدمات التليفونية المتاحة ، وأن يتواصى الجيران بأن يوقظ بعضهم بعضًا تعاونًا على البر والتقوى ، على أن يعلق قلبه بالله ، لا بهذه الأسباب .

الخامس : أن يحافظ على الإتيان بآداب النوم وأذكاره ، خصوصًا قراءة آية الكرسي ، والمعوذات ، عند النوم .

السادس : أن يواظب على شهود صلاة الفجر في مسجد واحدٍ ، كي يحس إخوانه بتخلفه عن الصلاة ، فيعظوه إن قَصَّر ، ويعاونوه على طاعة الله ، فإن الشيطان ذئب الإنسان ، وإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصيةَ ، قال ﷺ لمن استوصاه : « **أوصِيك أن تستحيي من الله تعالى ، كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك** » [جيد] ، وقال مجاهد : « لو أن المسلم لم يُصب من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي ، لكفاه » .

السابع : أن يجتهد في تطبيق قول رسول الله ﷺ : « **من صلى لله أربعين يومًا في جماعة ، يدرك التكبيرة الأولى ، كُتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق** »[1] [حسن] ، بل يعزم على المحافظة على التكبيرة الأولى ما عاش، « **والأعمال بالنيات** » ونية المؤمن أبلغ من

---

(١) وقد لوحظ تأثير عجيب ، وبركة عظيمة في دين الذين راموا تطبيق هذا الحديث ، وكان سببًا في تغيير مجرى حياة كثير من الشباب الذين طبقوه ، إلى الاستقامة على ما يرضي الله عز وجل .

عمله ، اقتداءً بالسلف الصالح ، ومن طالع سيرتهم في هذا الشأن رأى عجبًا :

فقد (كان السلف إذا فاتتهم تكبيرة الإحرام عَزَّوا أنفسهم ثلاثة أيام ، وإذا فاتتهم الجماعة عزوا أنفسهم سبعة أيام)[1] .

وقال حاتم الأصم : « مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا ، ولقد ماتت لى بنت فعزَّاني أكثر من عشرة آلاف ، وفاتتني صلاة الجماعة ، فلم يعزني أحد » .

وكان منهم من يبكي عندما تفوته تكبيرة الإحرام مع الجماعة ، ومنهم الذي يمرض إذا فاتته الصلاة مع الجماعة ، ومنهم القائل – وقد قارب التسعين – : « لم أصل الفريضة منفردًا إلا مرتين ، وكأني لم أصلهما » .

ومنهم من لم تفته صلاة الجماعة أربعين سنة إلا مرة واحدة ، حين ماتت والدته اشتغل بتجهيزها .

---

(١) كذا في « تحفة الأحوذي » (٢/٤٥) ، وعلق القاري رحمه الله : « وكأنهم ما فاتتهم الجمعة ، وإلا عزوا أنفسهم سبعين يومًا » .

وهذا « سعيد بن المسيب » يقول فيه تلميذه أبو وداعة : « لم يُرَ منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد » ، وهذا « سليمان بن مِهران الأعمش » يقول فيه « وكيع بن الجراح » : (كان « الأعمش » قريبًا من سبعين سنة ، لم تفته التكبيرة الأولى) .

(٦) الصلاة النافعة هي الصلاة الخاشعة

فقد قال تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ ، ثم قرن تعالى الخشوع في الصلاة بأركانٍ وفرائض ، فدل على وجوب الخشوع في الصلاة ، وتوعَّد رسول الله ﷺ الذين يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم بقوله : « **لينتهُن عن ذلك ، أو لتُخطفنَّ أبصارهم** » [رواه البخاري] ، والخشوع معنًى في القلب ، ويكون بسكون الجوارح ، والخضوع لله عز وجل ، قال تعالى في حق الأنبياء : ﴿ **إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رَغَبًا ورَهَبًا وكانوا لنا خاشعين** ﴾ ، وكان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه : « **خشع لك سمعي وبصري ، ومخي وعظمي وعصبي ، وما استقلت به**

قدمي ، لله رب العالمين » [رواه مسلم] ، وكان ﷺ يتعوذ في دعائه من : « **قلب لا يخشع** » وقال رسول الله ﷺ : « **أول شيء يُرفَع من هذه الأمة الخشوع ، فلا ترى فيها خاشعًا** » [حسن] ، ولأهمية الخشوع وحضور القلب قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** ﴾ ومن أسكره حب الدنيا حتى لا يعلم ما يقول ، ولا يدري كم صلى ، أشبه سَكرانَ الخمر الذي لا يعلم ما يقول .

ونهى النبي ﷺ عن الإسراع في المشي إلى المسجد ، لأنه إذا عدا حَفَزَه النفسُ فيحرمه الخشوع ، وكذا نهى عن الصلاة بحضرة الطعام ، ولا وهو يدافعه الأخبثان ، دفعًا لما يطرد الخشوع .

ومن أسباب حصول الخشوع : حضور القلب ، بأن يفرغ قلبه من كل ما عدا الصلاة ، فيقضى ما يشغله قبل الصلاة ، ويجدد على نفسه ذكر الآخرة ، وخطر القيام بين يدى الله – عز وجل –، وهول المطلع ، ومتى ما غاب القلب عن الصلاة ، كان السبب هو ضعف الإيمان ، قال ﷺ

فيمن توضأ : « .. **فإن هو قام وصلّى ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ومجّده بالذي هو أهله ، وفرَّغ قلبه لله ، انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه** » . [مسلم]

ومنها : اليقين بلقاء الله تعالى، قال سبحانه : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقوا ربِّهم وأنهم إليه راجعون** ﴾ .

ومنها : أن يصلي صلاة مودِّع ، فقد قال ﷺ : « **اذكر الموت في صلاتك ، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريٌّ أن يحسن صلاته ، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها ، وإياك وكلَّ أمر يُعتذَر منه** » ، [حسن] ، وقال ﷺ : « **إذا قمت في صلاتك ؛ فصلِّ صلاة مودِّع** » الحديث . [حسن]

ومنها : طول قراءة القرآن ، فقد قال ﷺ : « **أفضل الصلاة طول القنوت** » [صحيح] يعني : القراءة مع التدبر في معانيها .

ومنها : قطع كل ما يشغل السمع والبصر ، بالقرب من القبلة ، والنظر إلى موضع السجود ، والاحتراز في الصلاة

من المواضع المنقوشة ، فإن النبي ﷺ لما صلّى في أنبجانية[1] لها أعلام ، نزعها ، وقال : « **إنها ألهتني آنفًا عن صلاتي** » . [متفق عليه]

(٧) لا تضيع النوافل

قال الله تعالى في الحديث القدسي : « **ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه** » . [رواه البخاري]

وهذه الصلوات النوافل كالخنادق التي تُحفر لحراسة الحصن ، أو كالسور الذي يقام حول المدينة ، فلا يمسها سوء ، ولا يصل إليها عدو حتى يجتاز هذه الخنادق ، أو يقتحم هذا السور ، فمن حافظ عليها ، كان أجدر بأن يحافظ على المكتوبات ، كما أنها تكمل ما وقع في الفريضة من نقص ، وتجبر ما طرأ عليها من كسر[2] ، قال ﷺ :

---

(١) كساء غليظ ملتف كثير الصوف .

(٢) « الأركان الأربعة » للندوي ص (٧٧) .

« إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، فإن انتقص من فريضته شيئًا ، قال الرب تعالى : انظروا ، هل لعبدي من تطوع ، فيكمل به ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر أعماله على ذلك » . [صحيح]

وقال ﷺ : « **من صَلَّى صلاة لم يُتِمَّها ، زِيدَ عليها من سُبحاته حتى تتمَّ** » . [صحيح]

(٨) نداء إلى جماعات الدعوة الإسلامية

إن مما يلفت النظر أن كثيرًا من الجماعات الدعوية ، والأحزاب السياسية تحدد لها مطالب وبرامج تدندن حول إصلاح الدنيا ، ورفع المعاناة عن الكادحين ، وتوفير المؤن الغذائية ، والمساكن ، والمواصلات ... إلخ .

ولم نر يومًا ضمن خططها وبرامجها دعوة صريحة إلى ضرورة احترام شعيرة الصلاة ، وأن يعاد تخطيط الجداول الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات ، ومواعيد العمل في كافة مرافق البلاد كي يُفسح

وقت كافٍ لإقامة صلاة الجماعة ، وإلزام كافة المسلمين بشهود الجماعة ، ومحاسبة من يتخلف عنها .

إذ ليس مما يعقل أن تعقد الاختبارات الدراسية في بعض الكليات وقت صلاة الجمعة ، وليس من الإسلام أن يهتف داعي الفلاح ، ويدعو المسلمين إلى الصلاة بينما المحاضرات مستمرة ، وممتدة إلى أن يخرج وقت الصلاة أحيانًا .

وليس من الإنصاف أن يُمتحن المصلون ، ويضارَّ الراكعون الساجدون من الموظفين والطلبة بسبب مغادرتهم القاعات لإجابة داعي الصلاة .

إن الإسلام الصادق لله – عز وجل – يقتضي أن نُعدِّل طرائق حياتنا ، لتخضع للشرع الإلهي المنزه ، لا أن نطوع أحكام الدين لأهوائنا ورغباتنا .

ألا يستحق الركن العملي الأول من الإسلام أن يهب كل مسئول مناديًا بإعادة الأمور إلى نصابها ؟ وباحترام دين الأمة ، وإقامة « **ولاية الصلاة** » كما كانت في العصور الأولى ؟! لماذا لا تضغط الاتحادات الطلابية ، والنقابات العمالية ، وسائر التجمعات المسلمة من أجل « **إقامة**

الصلاة » في المجتمع بكل ما تحويه الكلمة من معانٍ ، كما تضغط من أجل رفع الأجور ، أو إطلاق سراح عامل اعتقل ، أو طالب فُصل ؟! وقد ينزعج العالمانيون من مثل هذه المطالبات ، ولكننا لا نستجدي كهنة العالمانية ، ولا نستدر عطف سدنتها وحملة مباخرها ، لسبب بسيط هو :

أن الإسلام هو صاحب هذه الديار ، وهو يعلو ولا يُعلى ، أما العالمانية الزنيمة الدعية التي تريد فصل الدين عن الحياة ، وتحويله إلى قضية علاقة شخصية بين العبد وربه ، فهي دين طارئ دخيل ، وهي ضيف كريه ثقيل ، لا بد أن نطرده من بيننا ليعود من حيث أتى ، وتتطهر بلاد الإسلام من رجسه ونجسه ، ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ .

❋ ❋ ❋

(٩) أطفالنا .. والصلاة

بين يديك – أخي المسلم – بعض التنبيهات التربوية كي تتخذها نبراسًا في عملية البناء العبادي لأولادك فيما يتعلق بركن الصلاة[(١)]:

١ – يعتقد الأطفال أن كل ما يفعله الكبار صحيح، وأن آباءهم هم أكمل الناس وأفضلهم، ولذلك يحاكونهم ويقتدون بهم، وهم لا يتأثرون في السن المبكرة بالتلقين إذا لم توجد أمامهم القدوة الصالحة التي تترجم عمليًّا المعاني المجردة، ولذلك فإن محافظة الأب على الصلاة ، تؤثر فيهم أعمق التأثير .

٢ – على الأب أن يستعين بدعاء الله عز وجل كما دعا إبراهيم عليه السلام : ﴿ **ربِّ اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي** ﴾ الآية .

٣ – على الأب أن يعلم أن العقاب البدني – بشروطه – هو الوسيلة الأخيرة للعقاب ، كي لا يتعود عليه الطفل ،

---

(١) من « مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة » للأستاذ/ عدنان حسن صالح باحارث – دار المجتمع – جدة ، ص (١١٧ – ١٣٥) بتصرف واختصار .

وبالتالي لا يجدى استعماله فيما بعد .

٤ – على الأب أن يُعلِّم ولده الوضوء والطهارة بالشرح النظري ، ثم بالتدريب العملي المتكرر ، ويسمح له بالتطبيق أمامه ، فإن أخطأ علمه ، ووجَّهه بلطف ودون تعنيف ، فإن أتقن الوضوء مدحه واحتضنه ، وقبَّله مشعرًا برضاه عنه .

٥ – يعلمه فضائل الوضوء ، كي يحفزه على الحرص على تحصيل ثوابه .

٦ – يتم تعليمه الصلاة منذ السن الباكرة دونما توجيه مباشر ، بل يكرر صلاة النوافل في المنزل على مشهدٍ من أولاده ، وهم يتأثرون أعمق الأثر إذا رأوا أباهم يمرغ وجهه لله ساجدًا ، قائمًا خاشعًا ، قد استغرقته الصلاة ، وصرفته تمامًا عما حوله ، وهذا من شأنه أن يغرس في نفوسهم عظمة الله سبحانه ، كما أنهم بهذه الطريقة – وهي التربية بالعادة – يتعرفون على أعمال الصلاة ، ويحبونها .

٧ – لا يشتد الأب مع الطفل قبل سن التمييز في أمر الطهارة للصلاة وستر العورة ، بل يتركه يقلده كيفما

كان ، ولا يكفه عن التقليد ، لأن زجره في هذه السن ، وهو غير مكلف ينفره من الصلاة ، ويكرهه فيها .

٨ –فإذا بلغ السابعة (بالتقويم الهجري) وجب على الأب أن يأمره بالصلاة ، لقول رسول الله ﷺ : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين** » الحديث [حسن] ، ويأمره بتحصيل شروطها كالطهارة ، وستر العورة .

٩ – ولا ينبغي أن يمر تاريخ إتمامه سن السابعة مرورًا عابرًا ، بل يعمق هذا الحدَث الهام من خلال إعلامه قبلها بأنه مقبل على أمر عظيم ، وهو اقتراب موعد أمره بالصلاة ، فإذا بلغ السابعة ، وصلى أول فرض ، جمع له أبوه بعض أصدقائه وإخوته في حفل صغير ابتهاجًا بهذه المناسبة الطيبة ، وليقدم له ساعة يدٍ – مثلًا – هديةً كي تحفزه على أداء الصلاة في وقتها .

١٠ – ينبغي متابعته في مدى انتظامه في الصلاة ، وتذكيره بها ، وتكرار الأمر بها دون ملل ، فإذا شُغِل الأب أو غاب ، وَكَّلَ من يقوم بمتابعته ، وأمره بها خلال فترة غيابه أو شغله ، رُوِيَ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

« حافظوا على أبنائكم في الصلاة ، وعوِّدوهم الخير ، فإن الخير عادة » .

١١ -- ولا بأس بمكافأته أحيانًا لانتظامه في الصلاة ، لكن لا يواظب على ذلك ، وينوِّع الهدية في كل مرة .

١٢ -- على الأب أن يقرن الأمور المحببة بالصلاة ، فيربط موعد النزهة بأداء صلاة العصر مثلًا أو المغرب ، فيتحفزون لذلك ، ويستعدون للصلاة ، في وقتها ، لاقترانها بمحبوب لديهم .

١٣ -- وكذا يرتب جميع مواعيده مع أولاده بأوقات الصلاة ، فيتعلمون تنظيم الوقت بناء على أوقات الصلاة .

١٤ -- يذكرهم بين الحين والآخر بفضائل الصلاة من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، حتى يكتمل تصورهم الفكري عن الصلاة ومنزلتها .

١٥ -- يُعَوِّدُ الصبي خاصة بعد سن العاشرة أداء السنن الرواتب مع الصلوات المفروضة ، ويحرص على قيام الليل ولو جزءًا يسيرًا ، فيعلن الأب لأولاده أنه سيقوم ليصلي في الليل وقت كذا وكذا ، ويتركهم يتنافسون في الاستيقاظ

في ذلك الوقت ، دون أن يوقظهم الأب ، لتقوى إرادتهم ، ويعتمدوا على أنفسهم ، ويخفف بهم في الصلاة ، ومن نعس منهم أمره بالنوم رفقًا به .

١٦ – فإذا قصَّر الولد في الصلاة بعد العاشرة ، وجب على الأب وعظه وتذكيره بالنصوص الشرعية في الصلاة ، فإن استمر في تهاونه أغلظ له في القول ، وعنَّفه ، وهجره ، لا يكلمه، ولا يخالطه، ولا يمازحه، ويحرمه من بعض الأشياء المحببة لديه ، فإذا فشل العقاب النفسي يلجأ الأب إلى العقاب البدني بشروطه[1] لقول النبي ﷺ : « **واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين** » الحديث . [حسن]

---

(١) يقدم المربي أسلوب الترغيب والإثابة ، والتشجيع ، ويتجاهل تقصير الطفل في بعض الأوقات ، مع حسن الإشارة والتلميح دون التصريح ، فإن أصَرَّ يعاتبه سرًّا ، ويعبس في وجهه ، فإن أصر يعاتبه جهرًا أمام أسرته أو رفاقه ، بدون شتم أو سب أو تحقير لذاته ، فإن تمادى يهدده بالضرب ويعلق عصا صغيرة بحيث يراها ، فإن لم تنفع كل هذه الوسائل يلجأ إلى ضربه بالشروط التالية :
١ – أن لا يضرب بأي حال قبل سن العاشرة . =

١٧ - فإذا كان الأب قد قَصَّر في أمره بالصلاة في السابعة ، فلا يستعمل معه العقاب البدني مباشرة بعد العاشرة وقد قصَّر في تعويده ، بل يتدرج معه ويمرنه ،

= ٢ - أن يَعْلَمَ المربي أن الضرب وسيلة علاج وإصلاح وليست لإهانته وتحقيره ، وتشويه نفسيته ، وليس هو وسيلة انتقامية يقصد بها تفريغ شحنة غضب المربي وإراحة نفسه ، ولكنه ضرورة تربوية لمصلحة الطفل ، وعليه فلا يُقْدِمُ المربي على عقوبة الضرب وهو غضبان ثائر .

٣ - أن لا يكون الضرب شديدًا مبرِّحًا ، ويستعمل فيه آلة معتدلة الحجم والرطوبة ، ولا يزيد على ثلاث ضربات ، وللوالد أن يزيد إلى عشر بحد أقصى، وأن يتوقى ضرب الوجه والمواضع الحساسة من البدن، ولا يكرره في الموضع الواحد، بل يفرقه ، ويترك بين الضربتين زمنًا يخف به ألم الأولى .

٤ - أن يكون الضرب على تقصيرٍ حقيقي ، لا على شبهة أو سوء ظن .

٥ - أن يتناسب العقاب مع حجم الخطإ ، ونوعه .

٦ - أن يتوقف عن الضرب إذا ذكر الغلام الله عز وجل واستغاث به .

٧ - أن لا يكرر العقاب بقدر الإمكان حتى لا تفقد العقوبة قيمتها ، فلا يبالي بها الطفل .

ويُعَوِّده عليها من جديد .

١٨ - يعود الطفل على صلاة الجماعة منذ الصغر ، كي يتعلق قلبه بالمسجد ، وهناك يتعرف على العلماء ، ويمارس عمليًّا آداب الإصغاء في مجالس العلم ، هذا ، وإن الحرص على مشاركة الكبار في أفعالهم ، ميل طبيعي عند الطفل ، فليُستَثْمَر في هذا الموضع .

١٩ - ويهيئه قبل حضوره إلى المسجد ، فيصفه له ، كي لا يفاجأ بشيء ، ويُكثر من ذِكر المسجد أمامه ، ويقرنه بكل جميل ، كأن يقول له مثلًا : « اشتريت لك هذه الحلوى من قرب المسجد » ، وإذا مر معه بقربه قال له : « انظر إلى هذا البناء الجميل !! إنه المسجد ، وسوف آخذك معي قريبًا لتصلي معي فيه » .

٢٠ - يهيء جو المسجد قبل اصطحابه ، فيتفق مع الإمام والمؤذن وبعض المصلين من الجيران وأبنائهم أن يحتَفُوا به ، ويلاطفوه ، ليحس بالأنس ، فيطمئن لأهل المسجد ورواده ، كما أن احتفاف هذه المناسبة بكل هذا الاهتمام من شأنه أن يوقع في نفسه تعظيم الصلاة .

٢١ – فإذا كان الإمام ممن يطيل الصلاة إطالة تخالف السنة ، نبهه إلى عدم الإطالة .

٢٢ – ويربطه بحِلَق تحفيظ القرآن الكريم ، وتجويده بالتعاون مع إمام المسجد .

٢٣ – ويهتم بترسيخ ارتباطه بالمسجد وأهله عن طريق ممارسة أنشطة نافعة ومسلية للأطفال .

٢٤ – يعظم أمامه صلاة الجمعة ، ويحدثه عن آدابها وأحكامها وضرورة احترامها وتوقيرها .

٢٥ – لكن لا يحمله على ما لا يطيق من أمر صلاة الجمعة ؛ لأنه قد يشق عليه المحافظةُ على طهارته ، أو طولُ الخطبة ، وقد رُوي أن أبا هريرة – رضي الله عنه – دخل مرة المسجد يوم الجمعة ، فوجد غلامًا ، فقال له : « يا غلام اذهب العب » ، قال : « إنما جئت إلى المسجد » ، قال : « يا غلام أذهب العب » قال : « إنما جئت إلى المسجد » ، قال : « فتقعد حتى يخرج الإمام ؟ » ، قال : « نعم » ، فعلى الأب أن لا يكلفه بصلاة الجمعة دون سن العاشرة ، بل يرغبه ولا يرهبه ، فإن أقبل

عليها ، وإلا تركه وشأنه مرفهًا حتى يبلغ العاشرة أو ما قبلها بقليل ، فيبدأ معه بالإلزام .

٢٦ – يتحرى الأب اختيار الخطيب ؛ لأنه بخطبته ومسلكه عميق التأثير في أخلاق الأولاد ، خاصة إذا فهموا الخطبة وعقلوها ، ولا بأس أن يسألهم بعد الخطبة عن موضوع الخطبة ، وما استخلصوه من الفوائد ، ويحثهم قبل الدخول على حسن الإنصات ، ويبين لهم أنه سوف يسألهم عن مضمون الخطبة بعد الصلاة ، لاستدعاء تركيزهم أثناء الخطبة .

هذه بعض الفوائد المجملة اختصرتها من هذا السفر النفيس الذي يجدر بكل أبٍ أن يتدارسه بعمق ، إذا كان يحرص على مستقبل الأمة الذي يتمثل في أبنائنا ، أفلاذ أكبادنا، قال الشاعر :

لا بد من صنع الرجال ومثلُه صنعُ السلاحْ
وصناعةُ الأبطال علمٌ قد دراه أولو الصلاح
مَن لم يُلقَّن أصلَه من أهله فَقَدَ النجاح
لا يُصنع الأبطالُ إلا في مساجدنا الفِساح

في روضـة القـرآن فـي ظل الأحاديـث الصحاح
شعـبٌ بغيـر عقيـدة ورقٌ يذريـه الريـاح
من خان «**حيَّ على الصلاة**» يخون « **حيَّ على الكفاح** »

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

❋ ❋ ❋

فهـرس الموضوعـات

الفصـــل الثانـــي

الفصل الثالث

***